المحتمل الضدين
في القرآن الكريم

إعداد

د/ حسن أحمد خفاجي

مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بطنطا

المحتمل الضدين في القرآن الكريم

حسن أحمد حسن خفاجي

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين بطنطا، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني : Hassankhafagy@azhar.edu.eg

الملخص:

هذا البحث / المحتمل الضدين في القرآن الكريم ، يتناول إبراز أحد مبتكرات القرآن الكريم في احتمال المعنيين المتضادين ، وليس فقرا في اللغة وإنما لبيان وجه من وجوه إعجاز القرآن ؛ استعمل ما يستعمله العرب في أحد المعنيين للدلالة عليهما ، فيوجز اللفظ ، ويزيد المعنى ويكثره ، ويجلي مقاصده ، ويعظم فوائده ، ويطّوف متدبره .

فوضحت من خلال النماذج الواردة احتمال كل لفظ للمعنيين فالمعاني الواردة غير مستبعدة ، وأظهرت أثره على التفسير بتكثير المعاني وتوسع الدلالات ، وأبرزت محاولة المفسرين الجمع بين المعنيين .

وقد سلكت المناهج العلمية المناسبة لمقتضى البحث من المنهج الاستقرائي الناقص والتحليلي والاستنباطي ، وانتهيت إلى أن :

۞ المحتمل الضدين من مبتكرات القرآن يفهم بعض معانيه ، ويبين دقائق أسراره ومبانيه.

۞ التعبير القرآني بمحتمل الضدين يراد به المعنيين ، فالمعاني الواردة ليست مستبعدة ويحتملها التعبير .

۞ إثراء التفسير بالمعاني الكثيرة ، واللطائف العديدة ، والغرائب الغزيرة، وقد أبرزها المفسرون في تفاسيرهم .

۞ فَتَح باب التفكر والتأمل أمام المشتغلين بالدراسات القرآنية، للظفر ببعض بديع إشاراته ، وعجيب فيوضاته ، واستنبات عباراته.

الكلمات المفتاحية : الضدين ، الأضداد ، المحتمل الضدين ، مبتكرات القرآن ، التفكر ، التدبر ، إثراء المعاني ، ثراء التفسير ، إثراء ، التعبير القرآني .

Possible opposites in the Holy Quran

Hassan Ahmed Hassan Khafaji

Department of Interpretation and Sciences of the Qur'an, Faculty of The Origins of Religion In Tanta, Al-Azhar University, Egypt.

E-mail: Hassankhafagy@azhar.edu.eg

Abstract:

This research/ possibly opposed in the Qur'an, deals with highlighting one of the innovations of the Qur'an in the probability of the opposing stakeholders, not the poorness of the language, but to show one aspect of the miracle of the Qur'an, using what the Arabs use in one of the concerned to denote them, shortening the word, increasing the meaning and increasing its purposes, maximizing its benefits, and floating its mind.

It clarified through the models contained the probability of each word for those concerned, the meanings contained were not excluded, and showed its effect on interpretation by multiplying the meanings and expanding the semantics, and highlighted the attempt of the interpreters to combine those concerned.

The appropriate scientific curriculum has been adopted for the research of the impertinal, analytical and inference approach, and I have concluded that :

- possible opposites of the creations of the Qur'an understands some of its meanings, and shows the minutes of its secrets and buildings.

- Qur'anic expression is likely to be meant by those concerned, because the meanings contained are not excluded and are tolerated by expression.

 the interpretation of the many meanings, the many oddities, and the abundant strangeness, and the interpreters highlighted them in their interpretations.

 open the door of reflection and reflection to those working in Qur'anic studies, to gain some exquisite signs, and strange in his presentations, and to cultivate his phrases.

Keywords: opposites, opposites, possible opposites, innovations of the Qur'an, reflection, reflection, enrichment of meanings, richness of interpretation, enrichment, Qur'anic expression.

مقدمة

الحمد لله المبدئ المعيد أنزل كتابه المجيد ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾فصلت: ٤٢ ؛ ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ ﴾ البروج: ٩ ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله؛ المتصف بكل وصف حميد ، بلغ الرسالة إلى القريب والبعيد ، صل اللهم وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أهل الوفاء والبر والتسديد ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المزيد .

أما بعد ،

فالقرآن الكريم كتاب حافل بضروب البيان وغوامض اللسان، وعجيب التركيب والترتيب، وبهجة الرونق وطلاوة المنطق التي أعجزت العقلاء، وأعييت الفضلاء، ولا يزال الدارسون يدلون بدلوهم للوقوف على أسرار معانيه، ودقائق مبانيه بمختلف ضروبه وفنونه، وخوارق فهومه، ولن يقدروا إحصائه، ويتمكنوا استيفاءه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾لقمان: ٢٧

فمعاني القرآن ومقاصده ذات أفانين كثيرة، بعيدة المدى، مترامية الأطراف، لا يخلو الناظر فيها من نور ونفع، ومنها : المحتمل الضدين، احتمال الكلام للشيء وضده، وذلك يعد من مبتكرات القرآن؛ لما فيه من إيجاز، وإعجاز، فيوجز اللفظ، ويزيد المعنى ويكثره، ويجلي مقاصده، ويعظم فوائده، ويطّوف متدبره، فعندما يقف المتدبر عند لفظ يحتمل وجهين مختلفين يقف متسائلا: أي معنى يراد ؟، وأي معنى يرجح ؟؛

فيجول إلى بديع إشاراته، وعجيب فيوضاته، واستنبات عباراته، ليستنبط من الأسرار السنية، ويلمح بعض الأنوار البهية؛ فيحصل المعاني الكثيرة، واللطائف العديدة، والغرائب الغزيرة؛ فأردت التوقف مع بعض مواضعه في القرآن بين عبارات العلماء وإشارات البلغاء؛ لإبراز جماليات التعبير به ببعض الدرر المكنونة والجواهر المخزونة .

أسباب اختيار الموضوع :

١ – دراسة المحتمل الضدين وتطبيقه على آيات القرآن .

٢ – إظهار أثر الألفاظ المحتملة الضدين في التفسير .

٢ – إبراز دلالة معاني المحتمل الضدين ولطائف التعبير بها .

٤ – تجلية ابتكار القرآن بتحمل المعنى الضدين .

منهج البحث

سلكت المناهج العلمية المناسبة لمقتضى البحث من المنهج الاستقرائي الناقص والتحليلي والاستنباطي .

الدراسات السابقة

أ – بيان الدراسات السابقة :

لم أجد في حدود اطلاعي ومعرفتي بحثا تناول المحتمل الضدين في القرآن الكريم .

ب – بعض الدراسات القائمة :

لقد حظيت الأضداد بعناية العلماء –القدامى والمحدثين –حيث:

۞ أفرده بعضهم بالتأليف، كالأصمعي ت٢١٦ هـ ،وابن الأنباري ت٢٧١ هـ وغيرهم الكثير.

۞ ومنهم من جعله مبحثا في بعض مؤلفاته في باب المشترك اللفظي كالزركشي ت ٧٩٤ هـ في كتابه: البرهان في علوم القرآن، والسيوطي ت٩١١ هـ في كتابه: الإتقان في علوم القرآن

۞ ومنهم من كتب أبحاثا علمية منشورة على الشبكة العنكبوتية مثل الأضداد عند الآلوسي ت ١٢٧٠ه في تفسيرهِ روح المعاني ، للدكتور/ كبرى جليل حسين

فقد اختص بتفسير الآلوسي فقط ، وهو أشبه ما يكون بمعجم الأضداد يذكر اللفظ وقول الآلوسي ومن قال به من اللغويين دون محاولة البيان والتحليل .

ج – ما ينفرد به البحث

وقصدي بهذا البحث إظهار احتمال الألفاظ المتضادة المعنيين كأحد مبتكرات القرآن ، وبيان أثرها على التفسير .

خطة البحث:

يتكون البحث من : مقدمة ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة .

المقدمة وتشتمل على :

أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، ومنهج البحث ، والدراسات السابقة ، وخطة البحث

المبحث الأول : تعريف المحتمل الضدين ومكانته وأثره على التفسير

المطلب الأول : تعريف المحتمل الضدين .

المطلب الثاني : مكانة المحتمل الضدين وأنواعه .

المطلب الثالث : منهج المفسرين في التعامل مع المحتمل الضدين وأثره على التفسير.

المبحث الثاني : المحتمل الضدين في الأسماء

النموذج الأول : المحتمل الضدين ﴿فَمَافَوْقَهَآ﴾ .

النموذج الثاني : المحتمل الضدين البين في قوله ﴿لَقَدتَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ .

النموذج الثالث : المحتمل الضدين الغابرين في قوله ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ .

النموذج الرابع : المحتمل الضدين المقنع في قوله ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ﴾ .

النموذج الخامس: المحتمل الضدين وراء في قوله﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾.

النموذج السادس : المحتمل الضدين الجنب في قوله ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾ .

النموذج السابع : المحتمل الضدين الصريخ في قوله ﴿فَلَاصَرِيخَ لَهُمْ

﴿.

النموذج الثامن: المحتمل الضدين الصريم في قوله ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾.

النموذج التاسع: المحتمل الضدين الشفق في قوله ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴾.

المبحث الثالث : المحتمل الضدين في الأفعال

النموذج الأول: المحتمل الضدين يشري في قوله﴿ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾.

النموذج الثاني : المحتمل الضدين أسروا في قوله ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ ﴾.

النموذج الثالث : المحتمل الضدين عسعس في قوله﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴾.

ثم الخاتمة – أسأل الله حسنها – متضمنة لأهم النتائج .

فالله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم

﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ الممتحنة: ٤

﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ هود: ٨٨

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وَصلِّ اللَّهُمَّ عَلَى سَيِّدِنَا محمد وَعَلَى آلِهِ وَصحبه وَسلِّم

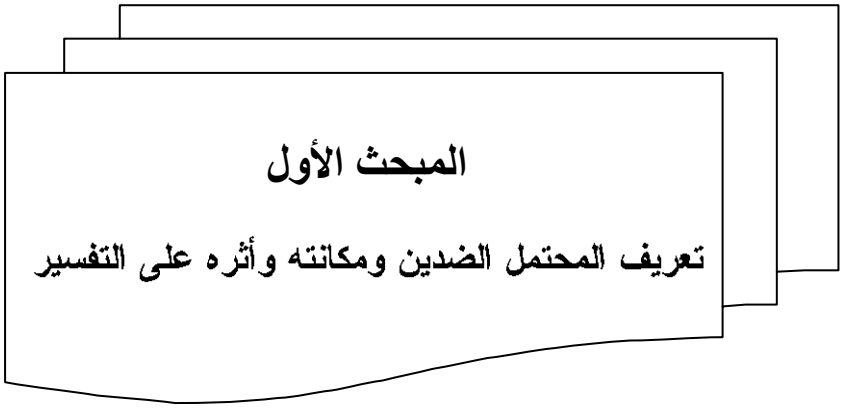

ويشتمل على :

المطلب الأول : تعريف المحتمل الضدين .

المطلب الثاني : مكانة المحتمل الضدين وأنواعه.

المطلب الثالث : منهج المفسرين في التعامل مع المحتمل الضدين وأثره على التفسير.

المطلب الأول : تعريف المحتمل الضدين

يتبين ذلك من خلال :

أولا : تعريف الأضداد لغة .

ثانيا : تعريف الأضداد اصطلاحا

ثالثا : تعريف المحتمل للضدين عند المفسرين .

أولا : تعريف الأضداد لغة

المتأمل في مادة – ض د –يجد أنها ترد في اللغة على معاني متعددة منها:

النقيض :

الضاد والدال كلمتان متباينتان في القياس.

فالأولى: الضد ضد الشيء، نقيضه وعكسه، والمتضادان: الشيئان لا يجوز اجتماعهما في وقت واحد، كالليل والنهار.

والكلمة الأخرى الضد، وهو الملء، بفتح الضاد، يقال: ضد القربة، ملأها، ضدا [1] .

وكان على الضد من ذلك : أي على النقيض.

ويفرق بين المتضادين والنقيضين :

النقيضان: ما كان التقابل بينهما تقابل النفي والاثبات ، ولذا لا يمكن

---

[1] – **ينظر** : مقاييس اللغة لابن فارس ٨٨/٦ ، دار الفكر، طبعة : ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

اجتماعهما في مادة، ولا ارتفاعهما كالحركة والسكون.

وأما المتضادان: فيجوز ارتفاعهما ويمتنع اجتماعهما كالسواد والبياض[٢] .

النظير والمقابل : يقال: لا ضدَّ له ولا ضَديد له، أي لا نظير له ولا كفء له، ولا مقابل.[٣]

الخلاف :ضد الشيء وضديده خلافه [٤]، لأن كل ضدين مختلفان .

وبالنظر إلى هذه المعاني اللغوية أستطيع القول بأن ضد الشيء ما خالفه وقابله ونقضه.

ثانيا : الأضداد في الاصطلاح :

الضد: يطلق على معنيين أحدهما موجود في الخارج مساو في القوة لموجود آخر ممانع له وثانيهما موجود مشارك لآخر في الموضوع معاقب له إذا قام أحدهما بالموضع لم يقم الآخر[٥] .

---

[٢] – **ينظر** : معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري صـــ ٣٢٦، مؤسسة النشر الإسلامي –الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـــ ، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء الكفوي صـــ ٥٧٤ ، مؤسسة الرسالة – بيروت.

[٣] – **ينظر** : الصحاح تاج اللغة للجوهري ٨٨/٦، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـــ – ١٩٨٧ م .

[٤] – **ينظر** : لسان العرب لابن منظور ٢٦٣/٣، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـــ .

[٥] – **ينظر** : دستور العلماء – جامع العلوم في اصطلاحات الفنون للقاضي الأحمد١٨٩/٢، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـــ – ٢٠٠٠م.

وقد عرفه :

١ – قطرب :

اللفظ الواحد الدال على معنيين أحدهما ضد الآخر [٦] .

٢ – ابن الأنباري :

الحروف التي توقعها العرب على المعاني المتضادة، فيكون الحرف منها مؤديا عن معنيين مختلفين[٧] .

٢ – أبو الطيب الحلبي[٨] :

---

[٦] – **ينظر :** الأضداد لقطرب صـــ ٧٠ ، دار العلوم – الرياض ، الطبعة: الأولى ١٤٠٥ هـــ – ١٩٨٤ م .

[٧] – **ينظر:**الأضداد لأبي بكر ابن الأنباري صـــ ١، المكتبة العصرية–بيروت،عام النشر: ١٤٠٧ هـــ– ١٩٨٧م.

[٨] – تجدر الإشارة إلى أن سيبويه في مقدمة الكتاب أشار إلى تقسيم الكلام : اعلم أنّ من كلامِهم:

اختلاف اللفظينِ لاختلاف المعنيينِ، واختلافَ اللفظينِ والمعنى واحدٌ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين.

فاختلافُ اللفظينِ لاختلاف المعنيين هو نحو: جلسَ وذهبَ. واختلاف اللفظين والمعنى واحدٌ نحو: ذهبَ وانطلقَ. واتفاق اللفظين والمعنى مختلِف قولك: وجدت عليه من الموجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضّالّة. وأشباه هذا كثيرٌ. فعنى بالثاني المترادف والثالث المشترك. **ينظر** : الكتاب لسيبويه ٢٤/١ ،مكتبة الخانجي، القاهرة ، الطبعة: الثالثة ١٤٠٨ هـــ – ١٩٨٨ م .

ثم جاء تلميذه قطرب فلم يزد عليه غير الشرح والتمثيل في كتابه الأضداد، ثم جاء أبو بكر ابن الأنباري بكتابه الأضداد أيضا وزاد بعض الاعتراضات والردود عليها ، إلى أن جاء أبو الطيب اللغوي وحده في صدر كتابه الأضداد في كلام العرب .

الألفاظ التي تقع على الشيء، وضده في المعنى، وليس كل ما خالف الشيء ضدا، فالقوة والجهل مختلفان وليس بضدين، وإنما ضد القوة الضعف، وضد الجهل العلم، فالاختلاف أعم من التضاد؛ إذ كل متضادين مختلفان ، وليس كل مختلفين ضدين [٩] .

ثالثا : المحتمل للضدين عند المفسرين :

يعد المحتمل للضدين أحد ألوان المشترك اللفظي، وقد استوقف المفسرين قديمًا، ولا يزال مثابة للباحثين والدارسين حديثًا، يؤوبون إليه بالبحث والتمحيص، ولكني آثرت تسميته بـــــ المحتمل للضدين لاستعمال المفسرين كأبي حيان[١٠] والآلوسي وابن عاشور[١١]، وكتب علوم القرآن كما نص على ذلك ابن النقيب الحنفي في مقدمة تفسيره فقال في القسم الثاني والأربعين : المحتمل الضدين .

وقد عرفه بقوله : أن يكون الكلام محتملا للشيء وضده[١٢]

---

[٩] – **ينظر** : الأضداد في كلام العرب لأبي الطيب الحلبي صـــ ١، دمشق ، الطبعة : ١٩٦٣ م .

[١٠] – فعند تفسير قوله تعالى : ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ النساء: ١٢٧ قال: واللفظ المحتمل للضدين . تفسير البحر المحيط لأبي حيان ١٠٦/٤ ، ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة : ١٤٢٠ هـــ .

[١١] – ففي لفظ الوراء : ولصدقه على الضدين– الخلف، والأمام– عد من الأضداد وليس موضوعا لهما . ينظر : تفسير روح المعاني للآلوسي ٣٢٤/١ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـــ التحرير والتنوير لابن عاشور ٦٠٧/١ ، الدار التونسية للنشر – تونس ، الطبعة : الأولى ١٩٨٤ م .

[١٢] – ينظر: مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن ==

فلم يخرج تعريف المحتمل للضدين عند علماء التفسير وعلوم القرآن عن تعريف اللغويين بأنه اللفظ الذي يدل على المعنى وضده، وقد بينت دافع تسميته بالمحتمل الضدين قبل؛ لينصرف الذهن عند إطلاقه للفظ الدال على معنيين مختلفين، ولم أسر على مصطلح اللغويين؛ لئلا يتوهم وجود أضداد في القرآن.

الفرق بين المحتمل للضدين والألفاظ القريبة:

❁ المشترك اللفظي والمحتمل للضدين:

المشترك: اللفظ الواحد الدال على معنين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة[١٣].

فهو يطلق على ما احتمل معنيين فأكثر.

و المحتمل الضدين : ما احتمل معنيين فقط بينهما تضاد.

فيكون : اللفظ الدال على معنيين متضادين عند أهل تلك اللغة.

فكل محتمل الضدين مشترك، وليس كل مشترك محتمل الضدين؛ لشموله ألوانا كالوجوه والنظائر أو بما كان يسميه المتقدمون ما اتفق لفظه واختلف معناه .

==

صـــ ٣٤٦ ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، وقد طبع تحت عنوان الفوائد: المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان لابن القيم صـــ ١٦٥ ، مطبعة السعادة بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٢٧ هـــ .

[١٣] – ينظر: المزهر في علوم اللغة للسيوطي ٢٩٢/١ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـــ ١٩٩٨م .

الفرق بين المختلف والمتضاد:

المختلفان لا يسد أحدهما مسد الآخر في الصفة التي يقتضيها جنسه مع الوجود كالسواد والحموضة .

والمتضادان هما اللذان ينتفي أحدهما عند وجود صاحبه إذا كان وجود هذا على الوجه الذي يوجد عليه ذلك كالسواد والبياض.

فكل محتمل الضدين مختلف وليس كل مختلف محتمل الضدين، وكل مختلف متغاير وليس كل متغاير مختلفا.[١٤]

[١٤] – **ينظر :** معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري صـــ ٤٨٨ .

المطلب الثاني : مكانة المحتمل الضدين وأنواعه

أولا : مكانة المحتمل الضدين

حظي المحتمل الضدين بعناية اللغويين والأصوليين والمفسرين لدلالته على المعاني المختلفة

❁ **عده علماء التفسير وعلوم القرآن من المشترك اللفظي،** وقد أولاه العلماء عناية خاصة لدلالته على مقصود العلماء، والحديث عن المحتمل الضدين يكون عند الحديث عن المشترك اللفظي، وبالنظر في كتب علوم القرآن لا أجده إلا بالتعرض للألفاظ التي يدل للفظ منها على المعنى وضده .

فقال الزركشي: ألفاظ مختلفة مشتركة وقعت في التركيب كقوله تعالى: ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾القلم: ٢٠ قيل: معناه كالنهار مبيضة لا شيء فيها وقيل: كالليل مظلمة لا شيء فيها وكقوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾﴾ التكوير: ١٧ قيل: أقبل وأدبر. (١٥)

وعرض السيوطي : الاشتراك نحو ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ ﴾التكوير: ١٧ فإنه موضوع لأقبل وأدبر ﴿ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾البقرة: ٢٢٨ فإن القرء موضوع للحيض والطهر ...(١٦)

---

(١٥) – ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢٠٩/٢ ، مجمع الملك فهد – السعودية، الطبعة الأولى .

(١٦) – ينظر: الإتقان غي علوم القرآن للسيوطي ١٤٢٦/٤ ، مجمع الملك فهد – السعودية، الطبعة الأولى .

فهذه الألفاظ من المحتملة للضدين وقعت عند الحديث عن المشترك، قدموا الجانب التطبيقي لشيوع التقعيد اللغوي بينهم أو التصريح به في مؤلف آخر كما فعل السيوطي في المزهر، وقد بقي اعتبار المحتمل الضدين من المشترك اللفظي قائما لدى الدارسين والباحثين إلى وقتنا هذا.

فالمشترك اللفظي نوعان :

مشترك متباين تختلف فيه المعاني دون تضاد.

وآخر تشتد درجة الاختلاف حتى تصل إلى التضاد.

❁ من سنن العرب :

قد عنون له السيوطي بابا في المزهر وتحدث عن مكانته عند الأصوليين واللغويين ودافع عنه ورد على منكريه مقتبسا ممن سبقه: قال ابن فارس: **من سُنن العرب في الأسماء** أن يُسَمُّوا المتضادَّين باسم واحد، نحو الجَوْن للأسود، والأبيض وأنكرَ ناسٌ هذا المذهب.

وقال المبرد: مِنْ كلام العرب اختلافُ اللفظتين لاختلاف المَعْنَيَيْن، واختلافُ اللفظتين والمعنى واحد، واتفاق اللفظتين واختلاف المعنيين، فالأول: كذَهَب، وجاء، وقام، وقعد، والثاني: كقعدَت، وجلست، وذِرَاع، وساعد، والثالث: كوجدت من الوجدان والموجدة[١٧].

❁ من مبتكرات القرآن :

يعد المحتمل الضدين من مبتكرات القرآن، فالإتيان بلفظ عربي له

---

[١٧] – ينظر: المزهر في علوم اللغة للسيوطي ٣٠٥/١ ، البلغة إلى أصول اللغة لصديق خان القِنَّوجي صـــ ١١٨ ، مطبوعات جامعة تكريت .

معنيان متضادان يحتملهما التعبير القرآني أسلوب مبتكر للقرآن وقد نص ابن عاشور على ذلك : فمن أساليب القرآن المنفرد بها التي أغفل المفسرون اعتبارها أنه يرد فيه استعمال اللفظ المشترك في معنيين أو معان إذا صلح المقام بحسب اللغة العربية لإرادة ما يصلح منها، واستعمال اللفظ في معناه الحقيقي والمجازي إذا صلح المقام لإرادتهما، وبذلك تكثر معاني الكلام مع الإيجاز وهذا من آثار كونه معجزة خارقة لعادة كلام البشر ودالة على أنه منزل من لدن العليم بكل شيء والقدير عليه.[١٨]

ثانيا :أنواع المحتمل للضدين :

قسمت المحتمل الضدين إلى :

١ – المحتمل الضدين في الأسماء .

٢ – المحتمل الضدين في الأفعال .

وآثرت هذا التقسيم حتى يكون عرض النماذج وفق ترتيب سور القرآن الكريم .

ويمكن تقسيمه تبعا للأسماء والصفات والمشتقات والظروف والأفعال، أو يقسم على حروف المعجم.

---

[١٨] – ينظر: تفسير التحرير والتنوير ١/١٢٣ .

المطلب الثالث: منهج المفسرين مع المحتمل الضدين وأثره على التفسير:

أولا: منهج المفسرين مع المحتمل الضدين:

❁ إيراد اللفظ المحتمل الضدين والمعاني الواردة والتنصيص على إنه من الأضداد

جل المفسرين عند عرضهم لأحد الألفاظ المحتملة للضدين ينصون على كونه من الأضداد فالطبري عند كلمة وراء يقول: قد جعل بعض أهل المعرفة بكلام العرب وراء من حروف الأضداد [١٩]، ومكي ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾الأعراف: ٨٣ : والغابر في اللغة: من الأضداد هو الباقي، والذاهب[٢٠]، والزمخشري وابن عطية في قوله ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ يونس: ٥٤: أسروا الندامة أظهروها، وهو من الأضداد[٢١]، والبيضاوي في البين ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ﴾الأنعام: ٩٤: والبين من الأضداد

---

[١٩] – ينظر: تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٨٣/١٨ ، ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى ٢٠٠٠ م .

[٢٠] – ينظر: تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي أبي طالب ٢٤٤٢/٤ ، مطبوعات كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

[٢١] – ينظر: تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري ٥٨٥/٣ ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ ، تفسير المحرر الوجيز لابن عطية ٤٢١/٤ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ .

يستعمل للوصل والفصل[٢٢].

❁ محاولة ترجيح أحد الضدين في بعض الألفاظ

قام بعض المفسرين بترجيح أحد المحتمل للضدين بعد ذكر المعاني المحتملة بما يتوافق لديه من سياق الكلام أو قواعد اللغة أو المناسبة للمشهور من كلام العرب كما يتضح ذلك في نموذج ﴿ ❁ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ ﴾البقرة: ٢٦ ، فقد انتصر الزمخشري لمعنى الصغر بالسياق وأبو حيان بمناسبته لكلام اللغة ، ورجحه النيسابوري بدلالة الفاء وتبعه ابن عاشور .

❁ توضيح العلاقات الدلالية للألفاظ

بين المفسرون العلاقات الدلالية في الألفاظ المحتملة للضدين :

كأبي السعود : ﴿مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ ﴾إبراهيم: ٤٣ أي رافعيها مع إدامة النظر من غير التفاتٍ إلى شيء، أو ناكسيها ويقال أقنع رأسَه أي طأطأها ونكَسها فهو من الأضداد وهما حالان مما دل عليه الأبصار من أصحابها[٢٣].

❁ نقض الألفاظ المحتملة

نقض بعض المفسرين من ألفاظ الأضداد كما فعل ابن عطية في

---

[٢٢] – ينظر: تفسير المحرر الوجيز ٣٦٧/٣ .

[٢٣] – ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ٥٥/٥ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى.

﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ الأنعام: ٩٤ فيقول :

بعض المفسرين منهم الزهراوي والمهدوي وأبو الفتح وسواهم حكوا أن «البين» في اللغة يقال على الافتراق وعلى الوصل فكأنه قال : لقد تقطع وصلكم.

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا عندي اعتراض لأن ذلك لم يرو مسموعا عن العرب وإنما انتزع من الآية [٢٤] .

ثانيا : أثر المحتمل للضدين

❁ إثراء المعاني التفسيرية

المحتمل للضدين يثري التفاسير بالمعاني الجديدة والأقوال العديدة واللطائف الغزيرة التي تستنتج وتستخلص بالتفكر والتأمل؛ فيكثر المعاني التفسيرية، ويوسع الدلالات القرآنية، ويزيد التأملات التأويلية بين المفسرين بعرض المعنيين وترجيح أحدهما، وبيان دلالته مما خصب التفاسير وأغناها بالأوجه المحتملة، فنمى التأمل والتدبر والتفكر .

❁فتح باب التفكر والتأمل فأي معنى يراد ، وكيف يجمع بين المعنيين

يفتح الباب أمام المتدبر والمتفكر لاستغراق الليل والنهار في غوص بحاره ، واستشراف أسراره والوقوف على حقائقه، وجل دقائقه .

فيسترعي الانتباه أي المعاني مرادة !

---

[٢٤] – ينظر: المحرر الوجيز ٣٢٤/٢ .

فيبدأ مرجحا لأحد المعنيين .

ثم يتساءل في نفسه ، ولم لا يكون الآخر محتملا ومرادا ، فيأخذ بالبحث عن تحمل المعنى الآخر ، فيجد له وجها وجيها .

ثم ينتقل إلى مرحلة ثالثة للجمع بين المعنيين ، فيستنبط الدرر المكنونة ، والجواهر المخزونة.

وبذلك يفتح باب التفكر والتدبر أمام المشتغلين بالدراسات القرآنية .

❁ إعجاز الألفاظ

ابتكر القرآن الجمع بين المعنيين بلفظ واحد؛ ففيه إرادة المعنيين دون أحدهما؛ لأن في اللغة ما يغني عن استعمال اللفظ فلو أريد معناه لجئ به صراحة، واللغة ليست فقيرة، ولكن القرآن جاء بما عند العرب مبتكرا للجمع بين المعنيين بلفظ واحد.

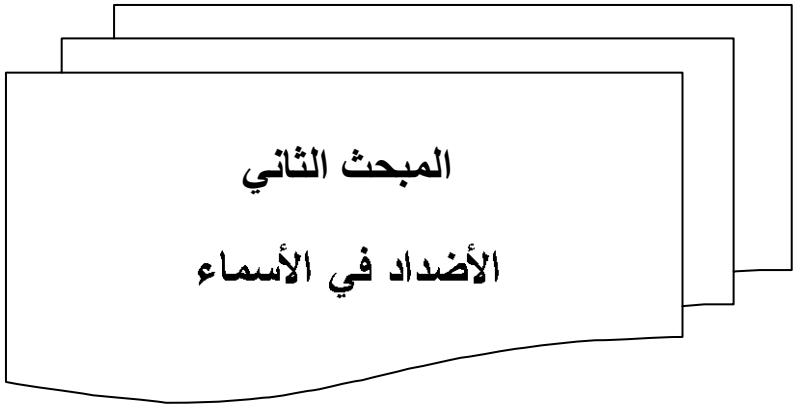

المبحث الثاني

الأضداد في الأسماء

النموذج الأول : المحتمل الضدين ﴿فَمَافَوْقَهَآ﴾

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾
البقرة: ٢٦

الآية الكريمة للذب عن التمثيل بما شاء من صغير أو كبير من غير نكير فليس مستغربا ولا مستكرها أن يمثل بالذباب والعنكبوت .

والمتمعن لقوله تعالى ﴿فَمَافَوْقَهَآ﴾[٢٥] يجد نفسه بين معنيين مختلفين تحتملها الآية :

الأول :- الكبر: فالذي ﴿فَوْقَهَا﴾: يريد أكبر منها وأعظم ، وهو العنكبوت والذباب .

الثاني :- الصغر: ﴿فَمَافَوْقَهَا﴾في الصغر والقلة والحقارة .

---

[٢٥] – الفوق : الفُوق –بالضم: مَشَقّ رأس السهم حيث يقع الوتر ، والفَاق: المُشْط، والصَحْراء أو الأرضُ الواسعة. وفاق الرجل فُواقًا: شَخَصت الريح –المتجمعة في صدره– من صدر. . وأفاقت الناقة: اجْتَمعتْ الفيقة –بالكسر وهي ثائب اللبن بعد الحَلْبة الأولى– في ضَرعها. فاقَ السطحَ: علاه ".
فهو علو يعلو الشئ ، كفوق السهم في رأسه وهو فراغ يقع فيه الوتر، وكالمشط يعلو الشعر وتتخلل أسنانُه فراغه. وكريح الفُوَاق في الصدر تخرج من الفم . ومنه ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾الأحزاب: ١٠: من فوقكم من جهة الشمال الشرقي حيث قريظة ومن معها . وقد يحتمل السياق لمعنيين مختلفين كما في الآية الكريمة . ينظر : المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن د /محمد حسن جبل ١٦٩٦/٣ ، مكتبة الآداب – القاهرة ، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.

الأول :- الكبر: فالذي ﴿فَوْقَهَا ﴾: يريد أكبر منها وأعظم ، وهو العنكبوت والذباب

فقد ذكر المفسرون هذا المعنى وقلة منهم رجحوا معنى الكبر والعظم:

فالذي ﴿**فَوْقَهَا** ﴾ يريد أكبر منها، وهو العنكبوت والذباب، ولو جعلت في مثله من الكلام ﴿**فَمَافَوْقَهَا** ﴾تريد أصغر منها لجاز ذلك.(٢٦)

ولم يستحسن الفراء معنى الصغر، فعقب ما ذكر فيقول: ﴿**فَمَافَوْقَهَا** ﴾تريد أصغر منها: ولست أستحسنه؛ لأن البعوضة كأنها غاية في الصغر، فأحَبُّ إليّ أن أجعل ﴿**فَمَافَوْقَهَا** ﴾ أكبر منها.

ثم أخذ يدلل بالأمثلة على ترجيح معنى أكبر منها ذلك فيمثل بقوله: " ألا ترى أنك تقول : يُعطَى من الزكاة الخمسُون فما دونها، والدرهم فما فوقه؛ فيضيق الكلام أن تقول: فوقَه ؛ فيهما أو دونه فيهما.

وأما موضع حسنها في الكلام فأن يقول القائل: إن فلانا لشريف، فيقول السامع: وفوق ذاك يريد المدح. أو يقول: إنه لبخيل، فيقول الآخر: وفوق ذاك، يريد بكليهما معنى أكبر .

فإذا عرفت أنت الرجل فقلت: دون ذلك ؛ فكأنّك تحطّه عن غاية الشّرف أو غاية البخل. ألا ترى أنك إذا قلت: إنه لبخيل وفوق ذاك، تريد فوق البخل، وفوق ذاك، وفوق الشّرف. وإذا قلت: دون ذاك، فأنت رجل

---

(٢٦) – ينظر: معاني القرآن للفراء ٢٠/١ ، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر ، الطبعة: الأولى.

عرفته فأنزلَته قليلا عن درجته. فلا تقولنّ: وفوق ذاك، إلا في مدح أو ذمّ.(٢٧)

وبذلك وضع الفراء قاعدة لترجيحه المعنى بكونه في سياق الكلام المحتمل للمدح والذم.

وهذا الذي ذكره في الآية من ترجيح أحد المعنيين استحسان منه، ولكن الكلمة الموجهة على قاعدته تطلق على المعنيين .

ويذهب العلامة المفسر الطبري إلى ترجيح معنى الكبر بدلالة قول أهل العلم الذين تُرتضى معرفتهم بتأويل القرآن ﴿**فَمَافَوْقَهَا** ﴾: فما هو أعظم منها عندي لما ذكرنا من قول قتادة وابن جريج أن البعوضة أضعف خلق الله، فإذا كانت أضعف خلق الله فهي نهاية في القلة والضعف، وإذ كانت كذلك فلا شك أن ما فوق أضعف الأشياء لا يكون إلا أقوى منه ، فقد يجب أن يكون المعنى على ما قالاه فما فوقها في العظم والكبر ، إذ كانت البعوضة نهاية في الضعف والقلة .

وقيل في تأويل قوله : ﴿**فَمَافَوْقَهَا** ﴾ في الصغر والقلة، كما يقال في الرجل يذكره الذاكر فيصفه باللؤم والشحّ، فيقول السامع : نعم، وفوق ذاك، يعني فوق الذي وصف في الشحّ واللؤم وهذا قول خلاف تأويل أهل العلم الذين تُرتضى معرفتهم بتأويل القرآن. (٢٨)

---

(٢٧) – ينظر: معاني القرآن للفراء ٢١/١ .

(٢٨) – ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٤٠٥/١ ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى ٢٠٠٠ م .

فقد بين العلامة الطبري المعنيين ورجح معنى العظم والكبر مستبعدا معنى الصغر؛ لمخالفته تأويل أهل العلم الذين تُرتضى معرفتهم بتأويل القرآن، بدليل تنصيص الإمام نفسه بكون البعوضة متناهية في الصغر.

و لكن **الكلام في سياق التحدي**، والتحدي يكون بالصغير والكبير فكلاهما بمنزلة واحدة من حيث لا يتسهل الصغير ولا يصعب الكبير، وإن كان لا بد ففي الصغير من الإحكام والإتقان ما في الكبير، والعبرة في الصغير أكثر.

الثاني :- الصغر : فَمَا فَوْقَها في الصغر والقلة والحقارة

ذكر جل المفسرين هذا المعنى و رجحه كثير منهم :

فالإمام الزمخشري ذكر المعنيين وانتصر لمعنى الصغر ففي قوله ﴿**فَمَافَوْقَهَا** ﴾ معنيان:

أحدهما: فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلاً، وهو القلّة والحقارة، نحو قولك لمن يقول: فلان أسفل الناس وأنذلهم: هو فوق ذاك، تريد هو أبلغ وأعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة.

والثاني: فما زاد عليها في الحجم، كأنه قصد بذلك ردّ ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت، لأنهما أكبر من البعوضة، كما تقول لصاحبك وقد ذمّ من عرفته يشح بأدنى شيء فقال: فلان بخل بالدرهم والدرهمين، هو لا يبالي أن يبخل بنصف درهم فما فوقه، تريد بما فوقه ما بخل فيه وهو الدرهم والدرهمان كأنك قلت: فضلاً عن الدرهم والدرهمين.

ونحوه في الاحتمالين ما سمعناه في صحيح مسلم عن إبراهيم عَنِ الْأَسْوَدِ، قَالَ: دَخَلَ شَبَابٌ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ بِمِنًى، وَهُمْ

يَضْحَكُونَ، فَقَالَتْ: مَا يُضْحِكُكُمْ؟ قَالُوا: فُلَانٌ خَرَّ عَلَى طُنُبِ[٢٩] فُسْطَاطٍ، فَكَادَتْ عُنُقُهُ، أَوْ عَيْنُهُ أَنْ تَذْهَبَ، فَقَالَتْ: لَا تَضْحَكُوا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً، فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ» [٣٠].

يحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة.

ويحتمل ما هو أشد من الشوكة وأوجع كالخرور على طنب الفسطاط. [٣١]

ثم أثار سؤال حول معنى الصغر ليؤجج التدبر والتفكر في هذا الوجه

فإن قلت: كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر ؟

قلت: ليس كذلك، فإن جناح البعوضة أقل منها وأصغر بدرجات، وقد ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً للدنيا، وفي خلق الله حيوان أصغر منها ومن جناحها، ربما رأيت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحادّ إلا تحركها، فإذا سكنت فالسكون يواريها، ثم إذا لوحتَ لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها، فسبحان من يدرك صورة

---

[٢٩] – طنب: هو الحبل الذي يشد به الفسطاط وهو الخباء ونحوه

[٣٠] – صحيح الإمام مسلم ١٩٩١/٤ ، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها ، حديث : ٤٦ – ٢٥٧٢،، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

[٣١] – ينظر: تفسير الكشاف ١١٦/١ .

تلك وأعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها، ولعل في خلقه ما هو أصغر منها وأصغر ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾يس:٣٦

وأنشدت لبعضهم :

يَا مَنْ يَرَى مَدَّ البَعُوضِ جَنَاحَها *** في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ البَهِيمِ الأَلْيَلِ

وَيَرى عُرُوقَ نِيَاطِهَا في نَحرِها ***والمُخَّ في تِلْكَ العِظَامِ النُّحَّلِ

اغْفِرْ لِعَبْدٍ تابَ مِنْ فَرَطَاتِه *** ما كانَ مِنْهُ في الزَّمانِ الاوَّلِ[٣٣][٣٢]

ومعنى الضعف والصغر رجحه الإمام الرازي أيضا من وجوه:

أحدها: أن المقصد من هذا التمثيل تحقير الأوثان، وكلما كان المشبه به أشد حقارة كان المقصود في هذا الباب أكمل حصولا .

وثانيها: أن الغرض ههنا بيان أن الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشيء الحقير، وفي مثل هذا الموضع يجب أن يكون المذكور ثانيا أشد حقارة من الأول يقال إن فلانا يتحمل الذل في اكتساب الدينار، وفي اكتساب ما فوقه، يعني في القلة لأن تحمل الذل في اكتساب أقل من الدينار أشد من تحمله في اكتساب الدينار .

وثالثها: أن الشيء كلما كان أصغر كان الاطلاع على أسراره

---

[٣٢] – هذه الأبيات يروى أن الإمام الزمخشري أوصى أن تكتب على قبره . ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ٧/١ ، ار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .

[٣٣] – ينظر: تفسير الكشاف ١١٦/١ .

أصعب، فإذا كان في نهاية الصغر لم يحط به إلا علم الله تعالى، فكان التمثيل به أقوى في الدلالة على كمال الحكمة من التمثيل بالشيء الكبير[٣٤].

وبين العلامة أبو حيان بأنه المناسب لكلام اللغة ثم ذكر وجوه ذلك فقال :

والذي نختاره القول الأول لجريان ﴿ **فوق** ﴾ على مشهور ما استقر فيها في اللغة، ثم دلل بالسياق الوارد في البعوضة: وفي المعنى الذي أسند الله إليه عدم الاستحياء من أجله في ضرب المثل بهذه المصغرات والمستضعفات من وجوه:

أحدها: أن البعوضة قد أوجدها على الغاية القصوى من الإحكام وحسن التأليف والنظام، وأظهر فيها ، مع صغر حجمها، من بدائع الحكمة كمثل ما أظهره في الفيل الذي هو في غاية الكبر وعظم الخلقة، وإذا كل واحد منهما قد استوفى نصاب حسن الصنعة وبدائع التأليف والصنعة فضرب المثل بالصغير والكبير سيان عنده إذا كانا في توفية الحكمة سواء.

الثاني: أن البعوضة لما كانت من أصغر ما خلق الله تعالى خصها بالذكر في القلة، فلا يستحي أن يضرب المثل في الشيء الكبير بالكبير والحقير بالحقير، وله المثل الأعلى في ضرب الأمثال .

الثالث: أن في البعوضة ، مع صغر حجمها وضعف بنيانها، من

---

[٣٤] – ينظر: تفسير مفاتيح الغيب للرازي ٢/ ٣٦٤ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

حسن التأليف ودقيق الصنع، من اختصار الخصر ودقة الخرطوم ولطيف تكوين الأعضاء ولين البشرة، ما يعجز أن يحاط بوصفه، وهي مع ذلك تضع بشوكة خرطومها، مع لينها، جلد الجاموس والفيل، وتهتدي إلى مراق البشرة بغير دليل، فلا يستحيي الله تعالى أن يضرب بها المثل، إذ ليس في وسع أحد من البشر أن يخلق مثلها ولا أقل منها، كما قال تعالى : ﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ الحج: ٧٣

الرابع: أن المثل بالذباب والبعوض والعنكبوت، وما يجري مجراه، أتى به تعالى في غاية ما يكون من التمثيل، وأحسن ما يكون من التشبيه، لأن الذي جعلها مثلاً لهم في غاية ما يكون من الحقارة، وضعف القوة، وخسة الذات والفعل، فلو شبههم بغير ذلك ما حسن موقع التشبيه، ولا عذب مذاق التمثيل، إذ الشيء لا يشبه إلا بما يماثله ويشاكله، ومن أتى بالشيء على وجهه فلا يستحيا منه.[٣٥]

ويزداد ترجيح معنى الصغر بدلالة الفاء :

فقوله ﴿فَمَا فَوْقَهَا ﴾البقرة: ٢٦ أي: فالذي هو أعظم منها في الجثة كالذباب والعنكبوت والحمار والكلب، فإن القوم أنكروا تمثيل الله بكل هذه الأشياء، أو أراد فما فوقها في الصغر كجناح البعوضة حيث ضربه صلى الله عليه وسلم مثلاً للدنيا، وهذا أولى لأن الآية نزلت في بيان أن الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشيء الحقير، فيجب أن يكون المذكور ثانياً أحقر من الأول. والفاء ههنا تفيد الترتيب في الذكر لأنه يذكر في هذا المقام

---

[٣٥] – ينظر: تفسير البحر المحيط ١/٢٠٠ .

الأخس فالأخس [٣٦].

وهي التي أطلق عليها العلامة ابن عاشور فاء التدرج:

والفاء عاطفة ﴿ ما فوقها ﴾ على ﴿ بعوضة ﴾ أفادت تشريكهما في ضرب المثل بهما، وحقها أن تفيد الترتيب والتعقيب ولكنها هنا لا تفيد التعقيب وإنما استعملت في معنى التدرج في الرتب بين مفاعيل ﴿ **أَن يَضْرِبَ** ﴾البقرة: ٢٦ ولا تفيد أن ضرب المثل يكون بالبعوضة ويعقبه ضربه بما فوقها بل المراد بيان المثل بأنه البعوضة وما يتدرج في مراتب القوة زائداً عليها درجة تلي درجة، فالفاء في مثل هذا مجاز مرسل علاقته الإطلاق عن القيد؛ لأن الفاء موضوعة للتعقيب الذي هو اتصال خاص ، فاستعملت في مطلق الاتصال، أو هي مستعارة للتدرج .

والمعنى أن يضرب البعوضة مثلاً فيضرب ما فوقها أي ما هو درجة أخرى أي أحقر من البعوضة مثل الذرة وأعظم منها مثل العنكبوت والحمار.[٣٧]

---

[٣٦] – ينظر: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ٢٠٥/١ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.

[٣٧] – ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٣٦٣/١ .

❁ **والحق أن الآية تبقى دون أن تحتمل ترجيحا** لاحتمال الآية المعنيين **كما عرض بعض المفسرين المعنيين واقفين عندهما فقط ، فقد أورد الإمام ابن عطية المفسر النحرير المعنيين ونص باحتمالهما دون ترجيح أحدهما** [٣٨] **والعلامة البيضاوي** [٣٩] **والإمام العلامة أبو السعود** [٤٠] .

❁ **وبذلك أجد إثراء المحتمل الضدين التفاسير بالمعاني الجديدة والأقوال العديدة التي تستنتج وتستخلص بالتفكر والتأمل**

فجل المفسرين توقفوا مع احتمال المعنيين بالترجيح والانتصار لأحدهما.

فأثرى المعاني التفسيرية، والدلالات القرآنية، والتأملات التأويلية بين المفسرين بعرض المعنيين وترجيح أحدهما، وبيان دلالته مما خصب التفاسير وأغناها بالأوجه المحتملة، فنمى التأمل والتدبر والتفكر .

فمن انتصر لمعنى الكبر دلل على ذلك بوجوه فأثرى التفسير بهذا الترجيح وفتح آفاق التأمل لهذا الوجه.

ومن انتصر لمعنى الصغر وهذا الذي أرجحه ورجحه جل المفسرين مما أغنى كتب التفسير بمعاني كثيرة و أوجه بلاغية ودلالات لغوية.

فالشيء كلما كان أصغر كان الاطلاع على أسراره أصعب، فإذا كان

---

(٣٨) – ينظر: تفسير المحرر الوجيز ١١١/١ .

(٣٩) – ينظر: تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٦٣/١ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ .

(٤٠) – ينظر: تفسير إرشاد العقل السليم ٧٣/١ .

في نهاية الصغر لم يحط به إلا علم الله تعالى، فكان التمثيل به أقوى .

والمذكور ثانيا أشد حقارة من الأول لأن الفاء تفيد الترتيب في الذكر لأنه يذكر في هذا المقام الأخس فالأخس، فما هو أعلى من البعوضة في باب الصغر كما يقال: ترتيب تصاعدي في الصفة المقصودة وهي دقة الجِرم مع ضآلة الشأن.[٤١]

ولكن المعنيان يحتملهما التعبير القرآني، و يدلان على بلاغة اللفظ القرآني وإثرائه لمعنيين مرادين مطلوبين بعبارة واحدة فيوجز في اللفظ والتعبير، ويزيد المعنى ويكثره، ويتوسع فيه؛ فأفاد التعبير الحالين معا الصغير والكبير من غير نكير.

وهذا المذهب: مذهب المحققين؛ لمطابقته البلاغة، ولما سيق له الكلام، فأراد الله تعالى أن ينبه بذلك المؤمنين على لطيف خلقه، وعجيب صنعه.

---

[٤١] – ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن ١٦٩٧/٣ .

النموذج الثاني : المحتمل الضدين البين في قوله ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ الأنعام: ٩٤

الآية الكريمة تخبرنا عن قول الله يوم القيامة لهؤلاء المشركين بأنه قد تقطع ما كان بينكم وبين شركائكم ، **وكلمة البين تطلق على معنيين هنا:**

الأول: الوصل.

الثاني: الفصل.

الأول: الوصل.

يقول تعالى مخبراً عن قوله يوم القيامة لهؤلاء المشركين: ﴿**لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ** ﴾الأنعام: ٩٤ أي : تقطّع ما كان بينكم وبين شركائكم من تواصل وتواد، فقد انتهت الصلة بينكم، فلا تواصل ولا تصادق ولا تناصر، فلا أحد منهم ينصر صاحبه ولا يواصله [٤٢] .

وذلك على كون ﴿ بين ﴾ اسما وليس ظرفا[٤٣]؛ وإنما حسن استعماله

---

[٤٢] – ينظر: جامع البيان ٥٤٨/١١ ، غريب القرآن لابن قتيبة صـ ١٥٧ ، دار الكتب العلمية–بيروت ، طبعة : ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م .

[٤٣] – فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر وابن عامر وحمزة ﴿لقد تقطع بَيْنُكم﴾ رفعا وقرأ نافع والكسائي وحفص عن عاصم ﴿ **بَيْنَكُمْ** ﴾ نصبا الذين رفعوه، جعلوه اسماً وليس ظرفا، فأسندوا الفعل الذي هو «تقطّع» إليه والمعنى: لقد ==

في معنى الوصل مع أن أصله الافتراق والتباين؛ لأنه يستعمل في الشيئين اللذين بينهما مشاركة ومواصلة من بعض الوجوه كقولهم: بيني وبينه مشاركة وبيني وبينه رحم .[٤٤]

فقد تحول الاتصال في الدنيا إلى تبرأ ، أخذوا يتبرأون من اتباعهم كما قال تعالى : ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾البقرة: ١٦٦ ، .

وقد أنكر ابن عطية البين بمعنى الوصل؛ مستشهدا بأن ذلك لم يرو مسموعاً عن العرب وإنما انتزع من الآية [٤٥].

ورد عليه السمين الحلبي: فظاهر كلام ابن عطية يؤذن بأنه فَهِمَ أنها بمعنى الوصل حقيقةً ثم رَدَّه بكونِه لم يُسْمع من العرب، وهذا منه غير

==

تقطع البين أي الوصل.

والذين نصبوا، نصبوا بين على الظرفية و أضمروا اسم الفاعل في الفعل، ل فالتقدير: لقد وقع التقطع بينكم أو تقطع الأمر بينكم .

قال الزجاج: الرفع أجود، ومعناه، لقد تقطع وصلكم، والنصب جائز والمعنى: لقد تقطع ما كنتم فيه من الشركة بينكم.

ينظر : مشكل إعراب القرآن لمكي أبي طالب ٢٦٢/١ ، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ ، جامع البيان في القراءات السبع لأبي عمرو الداني١٠٦٥/٣ جامعة الشارقة – الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧م، إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين درويش ١٧٤/٣ ، دار ابن كثير – دمشق الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ .

[٤٤] – ينظر: تفسير مفاتيح الغيب ٧٠/١٣ ، تفسير البحر المحيط ٥٨٨/٤ .

[٤٥] – ينظر: المحرر الوجيز ٣٢٤/٢ .

مُرْضٍ، لأنَّ أبا عمرو وأبا عبيد وابن جني والزهراوي والمهدوي والزجاج أئمة يقبل قولهم فقالوا: «بين» اسم غير ظرف، وإنما معناها الوصل أي: لقد تَقَطَّع وصلكم. ثم للناس بعد ذلك عبارتان تؤذن بأن «بين» مصدر بان يبين بَيْناً بمعنى بَعُد، فيكون من الأضداد أي إنه مشترك اشتراكاً لفظياً يستعمل للوصل والفراق كالجَوْن للأسود والأبيض.

وقول ابن عطية: وإنما انتُزِع من هذه الآية فممنوعٌ بل ذلك مفهوم من لغة العرب، ولو لم يكن ممَّن نقلها إلا أبو عمرو لكفى به، وعليه فيكون مصدرا لا ظرفا .(٤٦)

الثاني: الفصل.

يقول تعالى مخبراً عن قوله يوم القيامة لهؤلاء المشركين: لقد وقع التقطع بينكم، وفصل ما كان بينكم فغاب وذهب عنكم ما كنتم تفترونه من شفاعة الشفعاء، ونداء الشركاء، وذلك على كون بين ظرفا وليس اسما.

فـــــ «البين » على أصله، وهو بعد الشيء وانكشافه، فالبين الفراق، من بان يبين إذا بعد (٤٧) .

وقد وقع التقطع؛ لأن العابدين والمعبودين يوم القيامة يتعادون غاية المعاداة ، كما قال الله جل وعلا : ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾مريم: ٨١ - ٨٢ ،

---

(٤٦) – ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ٥/٥٥ ، دار القلم– دمشق .

(٤٧) – ينظر: مقاييس اللغة ١/٣٢٧ ، تفسير المحرر الوجيز ٢/٣٢٤ .

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾الأحقاف: ٥-٦.[٤٨]

فالبين من الأضداد؛ يكون بمعنى الفراق، ومعنى الوصال؛ فإذا كان الفراق فهو مصدر بان يبين بينا، إذا ذهب.[٤٩]

وقال قطرب: أعجبني بينهم أي : اتصالهم، وأعجبني بينهم أي: تفرقهم. [٥٠]

وهو موضوع للخلالة بين الشيئين ووسطهما، يقال: بأن كذا أي: انفصل وظهر ما كان مستترا منه، ولما اعتبر فيه معنى الانفصال والظهور استعمل في كل واحدة منفردا، فقيل للبئر البعيدة القع: بيون، لبعد ما بين الشفير والقعر لانفصال حبلها من يد صاحبها. وبان الصبح: ظهر . وتارة تستعمل ظرفاً، وتارة اسماً. [٥١]

---

[٤٨] – ينظر: أضواء البيان للشنقيطي ٤٨٧/١ ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت ، طبعة : ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م .

[٤٩] – ينظر: الأضداد لابن الأنباري صـ ٧٦ ، المكتبة العصرية، بيروت ، طبعة : ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م ، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب لأبي حيان صـ ٧٠، المكتب الإسلامي ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م

[٥٠] – ينظر: الأضداد لقطرب صـ ١٣٨ ، دار العلوم – الرياض ، الطبعة : الأولى ١٩٨٤ م .

[٥١] – ينظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ١٣٣/١ ، دار القلم – دمشق ، الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي ٨٢/٨ ، مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة –الإمارات ، الطبعة: الأولى ١٤٢٧ هـ

والواقف عند اللفظ القرآني ﴿ بَيْنَكُمْ ﴾في سياق الآية الكريمة يجد أن المحتمل الضدين استعملت في المعنيين فقد أبان وكشف حالهم بكلمة البين التي هي في الأصل الظهور أي : تكشف لهم الحق البين، و أنهم لَا وجود لهم، والانكشاف حدث بطريقي الوصال الذي كان بينهم والفراق والفصل الذي حدث منهم. ففقدتم الذي كان بينكم بعد وصالكم .

فالمحتمل الضدين عبر عن معاني الإبانة والكشف، وعن حالتهم من الاتصال الذي لا يتصور معه انفصال، وعما حدث منهم من انفصال وفراق، فقد تقطع ولم يحدث أي صلة بل تبرأوا منهم ، فعبر وأكد بلفظ واحد ؛ فأثرى المعاني لصلاحية جميعها في الآية الكريمة، وأشار إلى معنى دقيق من تقطيع هذه الصلات والروابط المتلاحمة، وفي ذلك تصوير لآثار هذا التفريق وفعله في نفوسهم، وربما لا يوجد ذلك في كلمة أخرى.

النموذج الثالث : المحتمل الضدين الغابرين في قوله ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٨٣﴾
الأعراف:٨٣

يحدثنا القرآن عن مآل امرأة لوط عليه السلام بأنها كانت من الغابرين، والغابر يطلق على معنيين هما:

الأول: الباقي .

الثاني: الماضي .

الأول: الباقي.

جل المفسرين على أن معنى: ﴿مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٨٣﴾: من الباقين ، فامرأة لوط عليه السلام بقيت مع قومها ولم تسر مع لوط فلم تنج معه أو من الباقين في عذاب الله، فقد أصابها مثل عذاب الرجال سواء، لم تنقص عنهم لأنها كانت كافرة مثلهم . (٥٢)

فمعنى غَبَر: بَقِي، والغابر من الليل: ما بقى منه والغابر: الباقي هذا هو المعروف والكثير في كلام العرب (٥٣) ، وهو مستمد بدلالته اللغوية كما قال الراغب: والغبار: ما يبقى من التراب المثا، وجعل على بناء الدخان والعثار ونحوهما من البقايا، وقد غبر الغبار، أي: ارتفع، وقيل:

(٥٢) – ينظر: تفسير جامع البيان ٥٥/١٢ ، تفسير المحرر الوجيز ٤٢٥/٢٢ .
(٥٣) – ينظر: المعجم الاشتقاقي ١٥٥٢/٣ .

يقال للماضي غابر، وللباقي غابر، فإن يك ذلك صحيحا، فإنما قيل: للماضي غابر، تصورا بمضي الغبار عن الأرض، وقيل : للباقي غابر، تصورا بتخلف الغبار عن الذي يعدو فيخلفه. ومن الغبار اشتق الغبرة: وهو ما يعلق بالشيء من الغبار وما كان على لونه [٥٤]

فيفهم أن الغابر بمعنى الباقي، فامرأة لوط باقية لتهلك معهم، وتذهب مع مَنْ سيذهبون بالإهلاك، فهي إذن باقية في العذاب .

الثاني: الماضي.

ذهب البعض إلى أن امرأة لوط عليه السلام من الماضين في أهل العذاب غير متخلفة عنه وذلك من معنى مضى يقال غبر بمعنى مضى.

فلوط عليه السلام أخرجها مع أهله ونهاهم عن الالتفات فالتفتت هي فأصابها حجر فهلكت فهي ماضية في العذاب غير متخلفة [٥٥] قال تعالى ﴿ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ﴾ هود: ٨١ فهي من الرائحين الماضين، لا من الباقين المستمرين .

وقد جمع المعنيين الإمام الزمخشري والآلوسي :

من الذين غبروا في ديارهم، أي بقوا فهلكوا ، وكانت كافرة موالية لأهل سدوم.

---

[٥٤] – ينظر: المفردات في غريب القرآن ١٤٥/٢ .

[٥٥] – ينظر: تفسير روح المعاني ٤٠٩/٤ .

وروى أنها التفتت فأصابها حجر فماتت.[٥٦]

فغبر الشيء إذا مضى، وغبر إذا بقي، وهو من الأضداد.[٥٧]

وحاول ابن عطية جمع الدلالات فقال :﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ ﴾ اكتفى به في أنها لم تنج ثم ابتدأ وصفها بعد ذلك بصفة لا تتعلق بها النجاة ولا الهلكة، والأول أظهر، وقد يجيء الغابر بمعنى الماضي، وأما قول الأعشى:

عَضَّ بما أَبْقَى المَواسي له *** مِنْ أُمِّهِ في الزَّمَنِ الغابرِ [٥٨]

فالظاهر أنه أراد الماضي وذلك بالنسبة إلى وقت الهجاء، ويحتمل أن يريد في الزمن الباقي وذلك بالنسبة إلى الحين هو غابر بعد الإبقاء، ويحتمل أن يعلق في الزمن بعض فيكون الباقي على الإطلاق والأول أظهر.[٥٩]

ولسائل أن يقول: كيف تأتي الكلمة الواحدة للمعنى وضده؟ فغبر تعني بقي، وغبر أيضاً تعني مضى وانتهى.

---

[٥٦] – ينظر: تفسير الكشاف ١٢٦/٢ ، تفسير روح المعاني ٤٠٩/٤ .

[٥٧] – ينظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٤٦/٧ ، دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م .

[٥٨] – البيت من قصيدة يهجو بها الأعشى علقمة ويذكر أمه قال أبو عبيدة بعد البيت: لم يختن فيما مضى، فبقي من الزمن الغابر . ينظر : ديوان الأعشى: ١٤٥ ، الطبعة الحجرية ، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٢١٩، مكتبة الخانجي – القاهرة ، الطبعة: ١٣٨١ ه .

[٥٩] – ينظر: تفسير المحرر الوجيز ٤٢٥/٢٢ .

نقول: إن المعنى ملتق هنا في هذه الآية، فمادام الحق ينجيه من العذاب الذي نزل على قوم لوط في القرية فنجد زوجته لم تخرج معه، بل بقيت في المكان الذي نزل فيه العذاب، وبقيت في الماضي، وهكذا يكون المعنى ملتقيا. فإن قلت مع الباقين الذين آتاهم العذاب فهذا صحيح، وإن قلت إنها صارت تاريخاً مضى فهذا صحيح[٦٠]

فالمحتمل الضدين وصف فعلها وبين مآلها في لفظ واحد، أفاد فعلها من المكث مع القوم الباقين، فالغابر الباقي قليلا بعد ما مضى، فلم تنج مع لوط عليه السلام وبقيت في عذاب الله.

وبين مآلها من الهلاك معهم، ومضيها في العذاب حتى لو خرجت مع لوط فسيصيبها ما أصابهم.

---

(٦٠) – ينظر: تفسير الإمام الشعراوي ٤٢٣١/٧ ، مطابع أخبار اليوم – القاهرة ، طبعة : ١٩٩٧ م .

النموذج الرابع : المحتمل الضدين المقنع في قوله ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾

قَالَ تَعَالَى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾﴾
إبراهيم: ٤٣

يذكر الله تعالى لنبيه حال الظالمين يوم تشخص أبصار الخلق بأنهم ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾، والإقناع يطلق على معنيين هما:

الأول: رفع الرأس.

الثاني: نكس الرأس وطأطأه.

الأول: رفع الرأس

من أحوال الظالمين يوم تشخص أبصار الخلق أنهم رافعي رؤوسهم فالإقناع رفع الرأس والنظر في ذل وخشوع، من أقنع رأسَه وعُنُقَه: رَفَعه وشخص ببصره نحو الشيء لا يصرف عنه.(٦١)

وسبب رفعهم إما :

❁ أنهم يرفعون أبصارهم إلى السماء ينظرون ماذا يرد عليهم من الله تعالى .

❁ أو كناية عن الذل والصغار فالمعتاد فيمن يشاهد البلاء أنه يطرق رأسه عنه لكي لا يراه فبين تعالى أن حالهم بخلاف هذا المعتاد وأنهم

---

(٦١) – ينظر: تاج العروس ٣٥/٢٢ ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي ٢٩٩/٤ ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة، طبعة : ١٩٩٢م.

يرفعون رؤوسهم، لا يلتفتون يميناً ولا شمالاً، وهذا كناية عن أشد الذل والصغار، ثم أتبعه ما يؤكده فقال مصرحاً بمعنى الشخوص[٦٢] .

الثاني: نكس الرأس وطأطأه.

من أحوال الظالمين يوم تشخص أبصار الخلق أنهم ناكسي رؤوسهم، فالإقناع يوجد في كلام العرب بمعنى خفض الرأس من الذلة، فكأنه طأطأ رأسه ولم يرفعه للسؤال ولم يستشرف إلى غير ما عنده [٦٣].

والإقناع: رفع الرأس وإدامة النظر من غير التفات إلى غيره، ويقال: أقنع رأسه، أي: طأطأها ونكسها فهو من الأضداد. [٦٤]

والمحتمل الضدين بين حالهم من الذلة والهوان بإقناع رؤوسهم بجعلها متمايلة من الاعتلاء إلى سفل وتذلل لما يرى في ذلك اليوم سواء أكان بمعنى :

۞ رافعيها متطلعين إلى من فوقها من شدة الهلع، وربما يكون أصل هذه الكلمة من القناع وهو ما يغطى به الرأس، فقَنِع لبس القناع ساترا لفقره، وقَنَع إذا رفع قناعه كاشفا رأسه بالسؤال.

۞ أو يخفضونها ذلا وانكسارا، كالسائل الذي كشف قناعه للمسألة.

---

[٦٢] – ينظر: تفسير جامع البيان ٣٢/١٧ ، تفسير مفاتيح الغيب ١٠٨/١٩ ، نظم الدرر ٤٣٣/١٠ .

[٦٣] – ينظر: تفسير النكت والعيون للماوردي ١٤٠/٣، دار الكتب العلمية – بيروت ، تفسير المحرر الوجيز ٣٤٤/٣.

[٦٤] – ينظر: تفسير الدر المصون ١٢١/٧.

فهذه المعاني تكشف ذلهم وحاجتهم رافعين رءوسهم بالذل والهوان، لَا يستتر من أمرهم شيء.

واعتبر ابن عاشور ذلك من مبتكرات القرآن : ومن أساليب القرآن المنفرد بها التي أغفل المفسرون اعتبارها أنه يرد فيه استعمال اللفظ المشترك في معنيين أو معان إذا صلح المقام بحسب اللغة العربية لإرادة ما يصلح منها، واستعمال اللفظ في معناه الحقيقي والمجازي إذا صلح المقام لإرادتهما، وبذلك تكثر معاني الكلام مع الإيجاز وهذا من آثار كونه معجزة خارقة لعادة كلام البشر ودالة على أنه منزل من لدن العليم بكل شيء والقدير عليه.[٦٥]

[٦٥] – ينظر: تفسير التحرير والتنوير ١/١٢٣

النموذج الخامس : المحتمل الضدين وراء في قوله ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ ﴾الكهف: ٧٩

يخبرنا القرآن الكريم عن تأويل الخضر لموسى عليه السلام خرقه السفينة بأنه كان ﴿وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ ، الوراء يطلق على معنيين :

الأول : الأمام .

الثاني : الخلف .

الأول :الأمام

السفينة كانت لمساكين يعملون بها في البحر وكان هناك ملك جبار أمامهم يأمر بغصب السفن فقوله ﴿وَرَآءَهُم ﴾**الكهف: ٧٩** أمامهم ، كقوله تعالى : ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ ﴾**المؤمنون: ١٠٠** ، واستدلوا بقراءة شاذة لابن جبير وابن عباس : «وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة »[٦٦].

الثاني : الخلف

السفينة كانت لمساكين وكان وراءهم إما :

۞ في السير أي أنهم يسيرون ويسبقونه، ويكون هو بعد سيرهم، فهو يستقبلهم، ويغتصب سفينتهم لضعفهم و استكانتهم[٦٧] .

---

[٦٦] – ينظر: تفسير جامع البيان ٨٣/١٨ ، تفسير المحرر الوجيز ٥٣٥/٣ .

[٦٧] – ينظر: تفسير زهرة التفاسير للشيخ / محمد أبي زهرة ٤٥٦٨/٩ ، دار الفكر ==

۞ أو كان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره ، فأعلم الله به الخضر.[٦٨]

وهذا المعنى قواه ابن عطية بقوله : هو عندي على بابه وذلك أن هذه الألفاظ إنما تجيء مراعا بها الزمن، وذلك أن الحادث المقدم الوجود هو الإمام، وبين اليد : لما يأتي بعده في الزمن والذي يأتي بعد : هو الوراء وهو ما خلف ، وذلك بخلاف ما يظهر ببادي الرأي .

وهذه الألفاظ في مواضعها حيث وردت تجدها تطرد ، فهذه الآية معناها أن هؤلاء وعملهم وسعيهم يأتي بعده في الزمن غصب هذا الملك، ومن قرأ ﴿ أمامهم ﴾ أراد في المكان أي إنهم كانوا يسيرون إلى بلده ، وقوله ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ ﴾ **إبراهيم: ١٦** مطرد كما قلنا من مراعاة الزمن...[٦٩]

فالوراء يطلق على: الْخلف والقدام وَهُوَ من الأضداد.[٧٠]

فالتعبير القرآني يحمل معنى المواراة والاستتا، وهي دلالة تشمل الأمام والخلف .

وتحقيقه : أن كل ما غاب عنك فقد توارى عنك وأنت متوار عنه،

==

العربي – بيروت .

[٦٨] – ينظر: معاني القرآن للزجاج ٣٠٥/٣ ، عالم الكتب – بيروت ، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م ، تفسير الكشاف ٧٤٠/٢ .

[٦٩] – ينظر: تفسير المحرر الوجيز ٥٣٥/٣ ، تفسير البحر المحيط ٢١٣/٧ .

[٧٠] – ينظر: جمهرة اللغة لابن دريد ٢٣٦/١ دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م ، لسان العرب ١٩٣/١ ، تاج العروس ٤٨٦/١ .

فكل ما غاب عنك فهو وراءك وأمام الشيء وقدامه إذا كان غائبا عنه متواريا عنه فلم يبعد إطلاق لفظ وراء عليه . [٧١]

وقد جمع الآلوسي بين المعنيين المحتملين :

من قدامهم لأنهم متوجهون إليها أو من خلفهم لأنهم معرضون عن الالتفات إليها والاشتغال عما ينجيهم منها مقبلون على الدنيا والانهماك في شهواتها، والوراء تستعمل في هذين المعنيين لأنها اسم للجهة التي يواريها الشخص فتعم الخلف والقدام .[٧٢]

فإيثار اللفظ وراء لما فيه من معنى الإحاطة والإخفاء فأصلها دال على الاستتار؛ ومنه إخفاء خطر الملك دون أن يعلموا به، فعادة الإنسان عند ما يكون في ضغوط يستخدم كلمة: ورائي و لا يتركوني .

ففسر الوراء بما لا يناله الحس ولا العلم حيثما كان من المكان، قال : فربما اجتمع أن يكون الشيء، وراء من حيث إنه لا يعلم، ويكون أماماً في المكان . [٧٣]

فالمحتمل الضدين أفاد الدلالة على استتار ما خلفهم وما أمامهم لعدم علمهم بأمر الملك فجئ بلفظ يدل على المعني الكثير باللفظ القليل، وذلك من استعمالات القرآن استعمال وراء عند التعبير عن المستتر والخفي غير الظاهر، فلما كان الخضر يعلم بأمر خفي غير ظاهر عبر عنه بـــ﴿وراء﴾، وكذلك لما كانت جهنم ليست مرئية، والبرزخ ليس مرئياً ولا مشاهداً كذلك.

---

(٧١) – ينظر: تفسير مفاتيح الغيب ٤٩١/٢١ ، المعجم الاشتقاقي المؤصل ٧٣٤/٢ .

(٧٢) – ينظر: تفسير روح المعاني ١٤٢/١٣ .

(٧٣) – ينظر: تفسير نظم الدرر ١١٩/١٢ .

النموذج السادس : المحتمل الضدين الجنب في قوله﴿فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ ﴾

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١١ ﴾ القصص: ١١

أخبرنا القرآن بما فعلته أخت موسى في تتبع أخيها، ﴿فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ ﴾، والجنب يطلق على معنيين هما:

الأول: البعد.

الثاني: القرب.

الأول: البعد.

يقول تعالى مخبرا عن قول أم موسى: وَقالَتْ لأخته حين ألقته في اليم قُصّيهِ أي: اتبعي أثره فقصت أخت موسى أثره، ﴿فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ ﴾: أي عن بُعد لم تدن منه ولم تقرب، لئلا يعلم أنها منه بسبيل، فكانت هي على الحدّ في الأرض، وموسى يجري به النيل، قائمة على ناحية من غير قصد ولا قرب يشعر لها به، وهذا يقال فيه جنب وجناب وجنابة.[٧٤]

قال ابن عطية: وكأن معنى هذه الألفاظ عن مكان جنب أي عن بعد لم تدن منه فيشعر لها. [٧٥]

---

[٧٤] – ينظر: تفسير جامع البيان ٥٣٠/١٩ ، نظم الدرر ٢٥٠/٤ .

[٧٥] – ينظر: تفسير المحرر الوجيز ٢٧٨/٤.

الثاني: القرب.

التعبير بقوله تعالى ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾ يشعر بأن أخت موسى أبصرت أخاها إبصارا فيه مخادعة لآل فرعون، حتى لا تجعلهم يشعرون بأنها تبحث عنه وكانت عن قرب، فقد كانت تمشي جانبا، وتنظر مختلسة وتري الناس أنها لا تنظر، وكأنها لا تريد أن تطلع أحدا على أنها تبحث عن أخيها.(٧٦)

والتعبير بهذا اللفظ المحتمل الضدين فيه من الإيجاز الدال على المعنى الكثير باللفظ القليل فقد جمع بين حالها مع أخيها في تتبع أثره وتعرف خبره بشكل لا يثير الشبهة، حتى بصرت به من مكان بعيد، مع النظر إليه كأنها لا تعرفه ولا تريده، ثم الشعور بالاطمئنان بقربها ووجودها بجانبه، ومع قربها لم يعرفوا أنها أُخته .

النموذج السابع : المحتمل الضدين الصريخ في قوله ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾﴾ يس: ٤٣

يذكر الله تعالى لطفه بعباده حين ركوبهم السفن، فلم يغرقهم في لجج البحار مع قدرته على ذلك، ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ والصريخ يحتمل معنيين :

الأول : المغيث .

---

(٧٦) – ينظر: تفسير القرآن للسمعاني ١٢٥/٤، دار الوطن، الرياض ، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م ، التفسير الوسيط د/ محمد سيد طنطاوي ٣٨٣/١٠ ، دار نهضة مصر – القاهرة ، الطبعة: الأولى ١٩٩٨ م .

الثاني : المستغيث .

الأول : المغيث

وإن نشأ نغرق هؤلاء المشركين إذا ركبوا الفُلك في البحر ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ أي: فلا مُغِيثَ لهم يخرجهم من الغَرَق ويدفعه عنهم قبل وقوعِه. (٧٧)

وسمى المغيث صريخا؛ لأنه يصرخ له ليحيى فيصرخ بالإجابة، ويطلق الصريخ على المغيث على فعيل بمعنى مفعول، وذلك أن المنجد إذا صرخ به المستنجد صرخ هو مجيباً بما يطمئن له من النصر، والمعنى: لا يجدون من يستصرخون به وهم في لُجج البحر ولا ينقذهم أحد من الغرق فلا معين لهم يعينهم عند ذلك .(٧٨)

الثاني : المستغيث

قد يأتي الصريخ بمعنى المستغيث وهو المستنجد تقول العرب: جاءهم الصريخ، أي المنكوب المستنجد لينقذوه؛ لأن صارخ بمعنى مستغيث وهو فعيل بمعنى فاعل .(٧٩)

وقد ذكر الآلوسي أنه غير مراد هنا: ويكون بمعنى المستغيث ولا يراد هنا؛ لأن المستغيث ينادي من يستغيث به فيصرخ له ويقول جاءك

---

(٧٧) – ينظر: ، تفسير جامع البيان ٥٢٥/٢٠، معاني القرآن للزجاج ٢٨٨/٤ تفسير إرشاد العقل السليم ١٦٩/٧ .

(٧٨) – ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٢٩/٢٣.

(٧٩) – ينظر: تفسير الدر المصون ٩٦/٧ ، تفسير التحرير والتنوير ٢٩/٢٣.

العون والنصر .[٨٠]

ولكن يرد بأن جل المفسرين وضحوا إرادة المعنيين: فلا مغيث، أو لا إغاثة، وذلك لأن صارخ بمعنى مستغيث، ومصرخ بمعنى مغيث . [٨١]

وقد صرح ابن عطية أن ذلك في فعيل بمعنى فاعل أو مفعول: «الصريخ» هنا بناء الفاعل بمعنى المصرخ، وذلك أنك تقول صارخ بمعنى مستغيث، ومصرخ بمعنى مغيث، ويجيء صَرِيخَ مرة بمعنى هذا ومرة بمعنى هذا لأن فعيلا من أبنية اسم الفاعل، فمرة يجيء من أصرخ ومرة يجيء من صرخ إذا استغاث [٨٢].

فالصارخ المغيث، والصارخ المستغيث؛ سمِّيا بذلك لأن المغيث يصرخ بالإغاثة، والمستغيث يصرخ بالاستغاثة؛ فأصلهما من باب واحد[٨٣].

والصراخ متحقق في المغيث والمستغيث بل في كل صارخ، فالمستغيث يعتمد الصراخ لطلب العون والنجدة؛ فإذا سمع المغيث صراخه رد عليه بصوت عال كالصراخ يخبره إنه مستعد للإغاثة [٨٤]، وكأن أحدهما يصرخ بصاحبه وذلك بالإجابة .

---

[٨٠] – ينظر: تفسير روح المعاني ٢٨/١٢ .

[٨١] – ينظر: تفسير الكشاف ١٨/٤ ، تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣٦٩/٤ .

[٨٢] – ينظر: تفسير المحرر الوجيز ٤٥٥/٤ ، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٣٥/١٥.

[٨٣] – ينظر: الأضداد لابن الأنباري صـــ ٨ .

[٨٤] – ينظر: الأضداد في اللغة محمد حسين آل ياسين صـــ ١٤٤، مطبعة المعارف – بغداد، الطبعة الأولى ١٩٧٤ م.

فالتعبير المحتمل الضدين أثرى المعنى التفسير فأفاد نفي طلب الغوث فلا هم يستغيثون ولا أحد يغيثهم، لأحد يصرخ لنجاتهم، ولا هم ينجون منا باستغاثتهم بصراخهم .

فقد جمعت الآية بين نفي المغيث الخارجي، والمستغيث باستغاثته وصراخه، بين نفي الصراخ والإجابة له.

وهذا من اللفظ الدال على المعنى الكثير باللفظ القليل.

النموذج الثامن : المحتمل الضدين الصريم في قوله ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ القلم: ٢٠

يخبرنا القرآن عن حال بستان أصحاب الجنة بصيرورته كالصريم ، والصريم يطلق على معنيين هما:

الأول: الليل.

الثاني: النهار.

الأول: الليل.

أصبح بستان أصحاب الجنة كالذي صرمت وقطعت ثماره بحيث لم يبق منها شيء؛ فصار كالليل الأسود، فصورت جنتهم بالمحترقة السوداء كسواد الليل المظلم البهيم .

وإنما قيل: للّيل صروم؛ لأنه يقطع بظلمته عن التصرف في الأمور، وفعل الله بهم ذلك لأنهم منعوا الحقوق اللازمة من ثمار هذه الجنة.[٨٥]

الثاني: النهار.

جنتهم أصبحت كالنهار فقد يبست وذهبت خضرتها، أو لم يبق شيء فيها، من قولهم: بيض الإناء، إذا فرغه. [٨٦]

ووجه التشبيه: أنها يبست وذهبت خضرتها أو لم يبق منها شيء من

---

[٨٥] – ينظر: جامع البيان ٢٣/٥٤٤ ، معاني القرآن للزجاج ٥/٢٠٨ .

[٨٦] – ينظر: الكشاف ٤/٥٩٠ .

قولهم: صرم الإناء، إذا أفرغه. [٨٧]

الصَّريم من الأضداد؛ يقال للَّيل صريم، وللنَّهار صريم[٨٨]، ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ أي سوداء كالليل محترقة، و«الليل» هو: الصّريم، و«الصبح» أيضا: صريم، لأن كل واحد منهما ينصرم من صاحبه.[٨٩]

وقد جعل الرازي ذلك لاحتمال فعيل، معنى المفعول، ومعنى الفاعل فيقول : وهاهنا احتمالات **أحدها:** أنها لما احترقت كانت شبيهة بالمصرومة في هلاك الثمر وإن حصل الاختلاف في أمور أخر، فإن الأشجار إذا احترقت فإنها لا تشبه الأشجار التي قطعت ثمارها، إلا أن هذا الاختلاف وإن حصل من هذا الوجه، لكن المشابهة في هلاك الثمر حاصلة.

وثانيها: أي صرم عنها الخير فليس فيها شيء، وعلى هذين الوجهين الصريم بمعنى المصروم.

وثالثها: الصريم من الرمل قطعة ضخمة تنصرم عن سائر الرمال، وجمعه الصرائم، وعلى هذا شبهت الجنة وهي محترقة لا ثمر فيها ولا خير بالرملة المنقطعة عن الرمال، وهي لا تنبت شيئا ينتفع به .

ورابعها: الصبح يسمى صريما لأنه انصرم من الليل، والمعنى أن تلك الجنة يبست وذهبت خضرتها ولم يبق فيها شيء، من قولهم: بيض الإناء

---

[٨٧] – ينظر: تفسير غرائب القرآن ٣٣٧/٦ .

[٨٨] – ينظر: الأضداد لابن الأنباري صـ ٨٥ .

[٨٩] – ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة صـ ٤٠٩ .

إذا فرغه وخامسها: أنها لما احترقت صارت سوداء كالليل المظلم، والليل يسمى صريما وكذا النهار يسمى أيضا صريما، لأن كل واحد منهما ينصرم بالآخر، وعلى هذا الصريم بمعنى الصارم، وقال قوم: سمي الليل صريما، لأنه يقطع بظلمته عن التصرف وعلى هذا هو فعيل بمعنى فاعل، وقال آخرون: سميت الليلة بالصريم، لأنها تصرم نور البصر وتقطعه [٩٠].

فإيثار كلمة الصريم؛ لكثرة معانيها وصلاحية جميع تلك المعاني لأن تراد في الآية .[٩١]

فمدلول الصريم يدور حول المنقطع فالليل والنهار كل منهما ينقطع من الآخر، فالجنة أصبحت كالليل في سواده لاحتراقها بعد أن كانت كالنهار في بياضه أو صارت كالنهار بيضاء لا شيء فيها .

فالمقصود واحد وإن شبه بالمتضادين اللذين لا يلتقيان ليجمع بين اللفظ القليل والمعنى الكثير من احتيالهم الصرام ونيتهم السيئة، وأنها لا تبقي أثرا؛ وذلك ملتق في لفظ الصرم ومعنى الليل والنهار، فالأشجار صريمة، وحملها لا شيء فيها، وهي سوداء محترقة .

---

[٩٠] – ينظر: تفسير مفاتيح الغيب ٦٠٨/٣٠ .

[٩١] – ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٨٢/٢٩ .

النموذج التاسع : المحتمل الضدين الشفق في قوله ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦﴾ الانشقاق: ١٦

يخبرنا القرآن عن قسمه تعالى بالآيات الظاهرات على أن البعث كائن لامحالة فأقسم بالشفق [٩٢]، والشفق يطلق على معنيين هما:

الأول: الحمرة.

الثاني: البياض.

الأول: الحمرة.

الشفق قَسَم أقسم به على أن البعث كائن لامحالة، وهو : الحمرة في الأفق من ناحية المغرب من الشمس[٩٣]، وتبقى في الأفق بعد غروب الشمس وبغيبوبته يتعلّق أول وقت العشاء الآخرة والشواهد في كلام العرب وأشعارهم تشهد له. [٩٤]

ونص الخليل التي بين غروب الشمس إلى وقت صلاة العشاء الأخيرة. فإذا ذهب قيل: غاب الشفق ، وقال ابن دريد الشفق: الندأة التي ترى في السماء عند غيوب الشمس وهي الحمرة .[٩٥]

---

[٩٢] – هذا اللفظ مما يتعلق به حكم شرعي بوقت صلاة المغرب ، وهذا القول اختيار ابن جرير وابن كثير وغيرهم من المفسرين .

[٩٣] – ينظر: معاني القرآن للفراء ٢٥١/٣ ، تفسير جامع البيان ٣١٨/٢٤ .

[٩٤] – ينظر: تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ١٦٠/١٠ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م .

[٩٥] – ينظر: لسان العرب ١٨٠/١٠ ، تاج العروس ٥٠٧/٢٥

الثاني: البياض.

وضح البعض معنى الشفق بـــــ: النهار والبياض .

فالشفق في الأصل الرقّة، ومنه ثوب شَفَقٌ إذا كان رقيقاً، ومنه الشفقة وهو رِقّة القلب. وإذا كان هذا أصله فهو بالبياض أولى منه بالحمرة؛ لأن أجزاء الضياء رقيقة في هذه الحال [٩٦]، ولما في النور من الرقة واللطافة كما أن في الظلمات الغلظ والكثافة، والقسم بالنهار يناسب القسم بالليل في قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧﴾الانشقاق: ١٧.[٩٧]

وكان البعض يقول: الشفق البياض لأن الحمرة تذهب إذا أظلمت، وإنما الشفق البياض الذي إذا ذهب صليت العشاء الأخيرة.[٩٨]

فالشفق من الأضداد يقع على الحمرة التي بعد مغيب الشمس، وبه أخذ الشافعي وعلى البياض الباقي في الأفق الغربي بعد الحمرة المذكورة وبه أخذ أبو حنيفة . [٩٩]

وعبر بالشفق؛ لمناسبة الأمور المقسم بها هنا للمقسَم عليه؛ لأنّ الشفق يخالط أحوالاً بين الظلمة وظهور النور معها، أو في خلالها، وذلك مناسب لما في قوله: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩﴾الانشقاق: ١٩ من تفاوت الأحوال

---

[٩٦] – ينظر: أحكام القرآن للجصاص ٣٧١/٥ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، طبعة: ١٤٠٥ هـ ، تفسير إرشاد العقل السليم ١٣٣/٩.

[٩٧] – ينظر: تفسير غرائب القرآن ٤٧٠/٦ .

[٩٨] – ينظر: لسان العرب ١٨٠/١٠ .

[٩٩] – ينظر: تاج العروس ٥٠٧/٢٥

التي يختبط فيها الناس يومَ القيامة أو في حياتهم الدنيا، أو من ظهور أحوال خير من خلال أحوال شَرّ أو انتظار تغير الأحوال إلى ما يرضيهم، ولعل ذِكر الشفق إيماء إلى أنه يشبه حالة انتهاء الدنيا لأن غروب الشمس مِثْل حالة الموت، وأن ذكر الليل إيماء إلى شدة الهول يوم الحساب وذكر القمر إيماء إلى حصول الرحمة للمؤمنين .[١٠٠]

فاختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس سواء أريد به الحمرة أو البياض؛ سمي به على كل من المعنيين لرقته، والإشفاق: عناية مختلطة بخوف؛ لأن المشفق يحب المشفق عليه ويخاف ما يلحقه . [١٠١]

وإيثار اللفظ المحتمل الضدين للجمع بين المعنى الكثير في وصف البعث والخشوع يوم القيامة فالشفق يمثل أول الليل ويجسد الوقت الخاشع المرهوب بعد الغروب، ويلفت النظر إلى حالة التحول العام من النهار إلى الليل.

---

[١٠٠] – ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٢٢٦/٣٠ .

[١٠١] – ينظر: المفردات في غريب القرآن ٥٤٥/١ ، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي ٢٧٩/٢ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م .

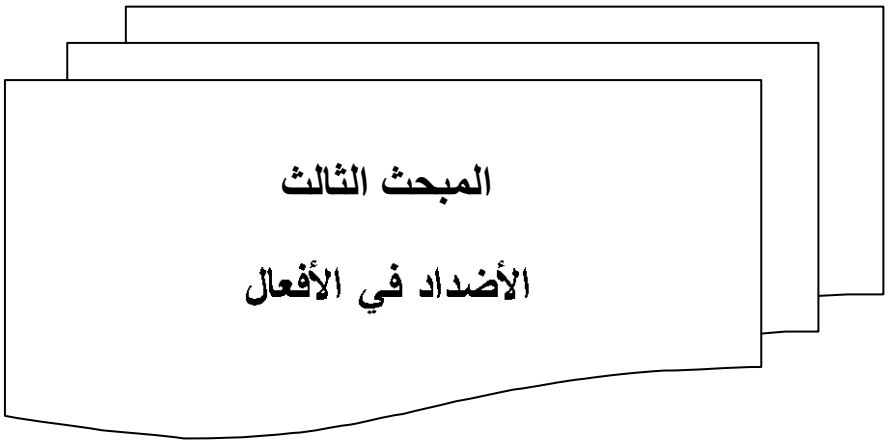

المبحث الثالث

الأضداد في الأفعال

النموذج الأول : المحتمل الضدين يشري في قوله ﴿ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٧٤﴾ النساء: ٧٤

يخبر القرآن ما أرشد به عباده من الأجر والثواب للذين يشرون الحياة الدنيا بالأخرة ، ويشرون يطلق على معنيين هما:

الأول: يشترون.

الثاني: يبيعون.

الأول: يشترون.

معنى يشرون في الآية: يشترون، أي: الذين يختارون الدنيا على الآخرة [١٠٢]

وعليه ذهب بعض المفسرين أن المراد بالموصول:

۞ المنافقون: أي: فليقاتل الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة هم المبطئون، وعظوا بأن يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الإيمان بالله ورسوله، ويجاهدوا من سبيل الله حق الجهاد. [١٠٣]

---

[١٠٢] – ينظر: تفسير جامع البيان ٥٤١/٨ ، معاني القرآن للزجاج ٧٧/٢ ، تفسير معالم التنزيل للبغوي ٢٤٩/٢ ، دار طيبة ، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م .

[١٠٣] – ينظر: تفسير الكشاف ٥٣٤/١ .

۞وقيل: يحتمل أن يراد المؤمنون؛ لأن الإنسان إذا أراد أن يبذل هذه الحياة الدنيا في سبيل الله بخلت نفسه فاشتراها من نفسه بسعادة الآخرة ليقدر على بذلها في سبيل الله، أو لعله أريد اشتغل بالقتال واترك ترجيح الفاني على الباقي، أو المراد أنهم كانوا يرجحون الحياة على الموت لاستيفاء السعادات البدنية فقيل لهم: قاتلوا فإنكم تستولون على الأعداء وتفوزون بالأموال. (١٠٤)

ولذلك قال الرازي: وعندي في الآية احتمالات أخرى:

أحدها: أن الإنسان لما أراد أن يبذل هذه الحياة الدنيا في سبيل الله بخلت نفسه بها، فاشتراها من نفسه بسعادة الآخرة ليقدر على بذلها في سبيل الله بطيبة النفس .

وثانيها: أنه تعالى أمر بالقتال مقرونا ببيان فساد ما لأجله يترك الإنسان القتال، فإن من ترك القتال فإنما يتركه رغبة في الحياة الدنيا، وذلك يوجب فوات سعادة الآخرة ، فكأنه قيل له: اشتغل بالقتال واترك ترجيح الفاني على الباقي .

وثالثها: كأنه قيل: الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة إنما رجحوا الحياة الدنيا على الآخرة إذا كانت مقرونة بالسعادة والغبطة والكرامة وإذا كان كذلك فليقاتلوا، فإنهم بالمقاتلة يفوزون بالغبطة والكرامة في الدنيا، لأنهم بالمقاتلة يستولون على الأعداء ويفوزون بالأموال، فهذه وجوه

(١٠٤) – ينظر: تفسير غرائب القرآن ٤٤٧/٢ .

خطرت بالبال والله أعلم بمراده .[١٠٥]

الثاني: يبيعون.

يبيعون الحياة الدنيا ولذتها بالآخرة. وبيعهم إياها بالآخرة هو استبدالهم إياها بالآخرة ببذلهم أنفسهم، وأموالهم في سبيل الله، وبتوطين أنفسهم على الجهاد في طاعة الله .

ويكون المراد بالموصول :

۞ المؤمنون؛ لأن الذين يبيعون هم المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها، والمعنى: إن صدّ الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون ووعد المقاتل في سبيل الله ظافراً أو مظفوراً به إيتاء الأجر العظيم على اجتهاده في إعزاز دين الله .[١٠٦]

وهو كقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ **البقرة: ٢٠٧** ، وقوله تعالى : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ **يوسف: ٢٠** .

۞ وقيل: نزلت في المؤمنين المتخلفين، فيشرون بمعنى يبيعون ويؤثرون الآجلة على العاجلة ، ويستبدلونها بها أمر الله تعالى بالجهاد من

---

[١٠٥] – ينظر: تفسير مفاتيح الغيب ١٤٠/١٠ .

[١٠٦] – ينظر: تفسير الكشاف ٥٣٤/١ ، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب – حاشية الطيبي على الكشاف ٦٥/٥ ، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ، الطبعة: الأولى ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م .

تخلف من ضعفة المؤمنين .[١٠٧]

وقد جلى الدكتور / عبد العظيم المطعني مادة ﴿ شَرَى ﴾ بأنها وردت في القرآن خمساً وعشرين مرة، جاءت على صور المجاز في ثلاث وعشرين مرة منها ، وعلى المعنى الحقيقي في مرتين، وإذا خلت من تاء الافتعال كانت بمعنى ﴿ باع ﴾، وجاءت على هذه الصورة في أربعة مواضع، ثلاثة منها على المعنى المجازي ، وواحد بالمعنى الحقيقي ومنها : ﴿ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾ **النساء: ٧٤**

فقد استُعْمِلت فيها المادة استعمالاً مجازياً كما هو ظاهر من السياق. [١٠٨]

فالشراء والبيع يتلازمان، فالمشتري دافع الثمن، وآخذ المثمن، والبائع دافع المثمن، وآخذ الثمن. هذا إذا كانت المبايعة والمشاراة بناض وسلعة، فأما إذا كانت بيع سلعة بسلعة صح أن يتصور كل واحد منهما مشتريا وبائعا، ومن هذا الوجه صار لفظ البيع والشراء يستعمل كل واحد منهما في موضع الآخر. وشريت بمعنى بعت أكثر، وابتعت بمعنى اشتريت أكثر.[١٠٩]

فالبيع: ضد الشراء، والبيع: الشراء أيضا، وهو من الأضداد. وبعت

---

[١٠٧] – ينظر: تفسير البحر المحيط ٣/٧١٠ .

[١٠٨] – ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته ٢/٣٢٤ ، مكتبة وهبة ، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.

[١٠٩] – ينظر: المفردات في غريب القرآن صـ ٤٥٣.

الشيء: شريته .[١١٠]

فيقال للمشتري شارٍ، وللبائع شارٍ، لأن كل واحد منهما اشترى، فكذلك قولهم لكل واحد منهما: بائع، لأنه باع وأخذ عوضاً مما دفع فهو شارٍ وبائع.[١١١]

يقول الشيخ الشعراوي – رحمه الله :

﴿ شَرَى ﴾ من الأفعال التي تأتي بمعنى البيع وبمعنى الشراء؛ لأن المبيع والمشتري يتماثلان في القيمة، وكان الناس قديما يعتمدون على المقايضة في السلع، فلم يكن هناك نقد متداول، كان هناك من يعطي بعض الحب ويأخذ بعض التمر، فواحد يشتري التمر وآخر يشتري الحب، والذي جعل المسألة تأخذ صورة شراء وبيع هو وجود سلع تباع بالمال.

والحق سبحانه وتعالى يريد أن يعقد مع المؤمن به صفقة فيها بيع وشراء، وأنتم تعلمون أن البائع يعطي سلعة ويأخذ ثمنا، والشاري يعطي ثمنا ويأخذ سلعة، والحق يقول هنا: ﴿ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾النساء: ٧٤

فالمؤمن هنا يعطي الدنيا ليأخذ الآخرة التي تتمثل في الجنة والجزاء،.. تلك هي الصفقة التي يعقدها الحق مع المؤمنين، وهو سبحانه يريد أن يعطينا ما نتعرف به على الصفقات المربحة فكل منا في حياته

---

(١١٠) – ينظر: لسان العرب ٢٣/٨ ، تاج العروس ٣٦٦/٢٠ .

(١١١) – ينظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة صـــ ١٢٠ ، دار الكتب العلمية – بيروت .

يحب أن يعقد صفقة مربحة بأن يعطي شيئا ويأخذ شيئا أكبر منه.[١١٢]

والتعبير بمحتمل الضدين يجمع بين المعاني الكثيرة باللفظ الواحد من شرائه الآخرة وبيعه الدنيا .

النموذج الثاني : المحتمل الضدين أسروا في قوله ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ ﴾

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۖ ﴾يونس: ٥٤

يخبرنا الله في هذه الآية الكريمة عن أحد أحوال الظـــالمين ﴿**وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ** ﴾ وهي تحتمل معنيين :

الأول: الإظهار .

الثاني: الإخفاء .

الأول: الإظهار

الرؤساء من المشركين أظهروا الندامة وذلك حين أبصروا عذاب الله قد أحاط بهم، وأيقنوا أنه واقع بهم [١١٣] ؛ وذلك لأن النار ألهتهم عن التصنع والكتمان كما نص على ذلك ابن الجوزي .[١١٤]

---

[١١٢] – ينظر: تفسير الشعراوي ٢٤٠٣/٤ .

[١١٣] – ينظر : تفسير جامع البيان ١٠٣/١٥ .

[١١٤] – ينظر : تفسير زاد المسير لابن الجوزي ٣٣٥/٢ ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ .

وزاد الرازي: لأنهم إنما أخفوا الندامة على الكفر والفسق في الدنيا لأجل حفظ الرياسة، وفي القيامة بطل هذا الغرض فوجب الإظهار.[١١٥]

ولأنّ حالة رؤية العذاب يتحسر الإنسان على اقترافه ما أوجبه ، ويظهر الندامة على ما فاته من الفوز ومن الخلاص من العذاب ، وقد قالوا: ربنا غلبت علينا شقوتنا، وربما يكون الإظهار على أسارير الوجه[١١٦] .

الثاني : الإخفاء

فقد أخفى الرؤساء من المشركين ، الندامة من سفلتهم الذين أضلّوهم، فأسرُّوها أي أخفَوها.[١١٧] فقد أضمروا أثارها من البكاء وعض اليد، وشخوص الأبصار وكلح الوجوه، وتقلص الشفاه ونكس الرؤوس ونحوه كثير فقد بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم، وعاينوا من شدّة الأمر وتفاقمه ما سلبهم قواهم، وبهرهم، فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع، سوى إسرار الندم والحسرة في القلوب .[١١٨]

والسبب في هذا الإخفاء وجوه :

الأول : أنهم لما رأوا العذاب الشديد صاروا مبهوتين متحيرين، فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا سوى إسرار الندم كالحال فيمن يذهب به

---

[١١٥] – ينظر: تفسير مفاتيح الغيب ٢٦٥/١٧ .

[١١٦] – ينظر : تفسير البحر المحيط ٧٢/٦ ، تفسير المحرر الوجيز ١٢٥/٣ .

[١١٧] – ينظر : معاني القرآن للفراء ٤٦٩/١ ، تفسير جامع البيان ١٠٣/١٥، تفسير غرائب القرآن ٥٨٩/٣ .

[١١٨] – ينظر: تفسير الكشاف ٣٥٢/٢ .

ليصلب فإنه يبقى مبهوتا متحيرا لا ينطق بكلمة .

الثاني : أنهم أسروا الندامة من سفلتهم وأتباعهم حياء منهم ، وخوفا من توبيخهم .

الثالث : أنهم أسروا تلك الندامة لأنهم اخلصوا لله في تلك الندامة، ومن أخلص في الدعاء أسره، وفيه تهكم بهم وبإخلاصهم يعني أنهم لما أتوا بهذا الإخلاص في غير وقته ولم ينفعهم، بل كان من الواجب عليهم أن يأتوا به في دار الدنيا وقت التكليف .[١١٩]

الربع : إخفاء الندامة هو من كونهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحسبوه ولا خطر ببالهم، ومعاينتهم ما أوهى قواهم فلم يطيقوا عند ذلك بكاء ولا صراخاً، ولا ما يفعله الجازع سوى إسرار الندم والحسرة في القلوب، كما يعرض لمن يقدم للصلب لا يكاد ينبس بكملة، ويبقى مبهوتاً جامداً .

وهذا فيه بعد؛ لأنّ من عاين العذاب هو مشغول بما يقاسيه منه فكيف له فكر في الحياء وفي التوبيخ الوارد من السفلة. [١٢٠]

فـــــــ أسرَّ من الأضداد، يستعمل بمعنى أظهر، وأخفى، فأضمر الفريقان الندامة على ما فعلا من الضلال والإضلال وأخفاها كل منهما عن الآخر مخافة التعيير أو أظهروها فإنه من الأضداد وهو المناسب لحالهم[١٢١] .

---

[١١٩] – ينظر: تفسير مفاتيح الغيب ٢٦٥/١٧ .

[١٢٠] – ينظر: البحر المحيط ٧٢/٦ .

[١٢١] – **ينظر** : تفسير الدر المصون ٢٢١/٦ ، تفسير إرشاد العقل السليم ١٣٥/٧.

والأولى بقاء اللفظ على ما يتحمله من المعنيين الإظهار، والإضمار لإثراء التفسير بالمعاني وفتح باب التدبر والتفكر من إيثار التعبير بهذا الفعل ﴿ وَأَسَرُّواْ ﴾ دون أظهروا أو أضمروا؛ وذلك لتصوير حالتهم التي يكونوا عليها قبل العذاب وبعده، والتأكيد على فشلهم وإخفائهم له، ووضوح يأسهم وظهوره على أسارير وجوههم .

النموذج الثالث : المحتمل الضدين عسعس في قوله ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧﴾ التكوير: ١٧

يقسم الله في هذه الآية الكريمة بالليل ﴿إِذَا عَسۡعَسَ﴾ ، عسعس يطلق على معنيين هما:

الأول: أقبل.

الثاني: أدبر.

الأول: أقبل.

أقسم ربنا جلّ ثناؤه بالليل إذا أقبل، فأصله العس وهو الامتلاء، ومنه قيل للقدح الكبير عس لامتلائه بما فيه، فانطلق على إقبال الليل لابتداء امتلائه، وانطلق على ظلامه لاستكمال امتلائه [١٢٢]، ومنه: طلب الشيء بالليل، عس يعس عسا، ومنه أخذ العسس، ويناسب التفسير بالإقبال ذكر الصبح بعده بالإقبال معبراً عنه بالتنفس فيطابقه بالأولية.[١٢٣]

---

[١٢٢] – ينظر: تفسير جامع البيان ٢٥٦/٢٤ ، تفسير الكشاف ٧١١/٤ .

[١٢٣] – ينظر: مفاتيح الغيب ٦٨/٣١ .

ورجح هذا المعنى الإمام ابن كثير بدلالة السياق :

وعندي أن المراد بقوله: ﴿عَسْعَسَ﴾ إذا أقبل، وإن كان يصح استعماله في الإدبار، لكن الإقبال هاهنا أنسب؛ كأنه أقسم تعالى بالليل وظلامه إذا أقبل، وبالفجر وضيائه إذا أشرق، كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾الليل:١- ٢، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا﴾ الأنعام: ٩٦ ، وغير ذلك من الآيات.(١٢٤)

الثاني: أدبر

أقسم ربنا جلّ ثناؤه بالليل إذا أدبر، يقول العرب: عسعس الليل إذا أدبر ولم يبق منه إلاّ اليسير، ويناسب التفسير بالإدبار بأن فيه الجوار بإدبار الليل وإقبال. (١٢٥)

ورجح هذا المعنى الإمام ابن جرير الطبري: وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي قول من قال: معنى ذلك: إذا أدبر، وذلك لقوله: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾ التكوير: ١٨ فدلّ بذلك على أن القسم بالليل مدبرًا، وبالنهار مقبلا .(١٢٦)

فعسعس من الأضداد تقع على الإقبال والإدبار، إذ قال: عسعس: أي أقبل ظلامه واعتكر سواده وقتامه، وقيل: معناه الادبار .

---

(١٢٤) – ينظر: تفسير القرآن الكريم لابن كثير ٣٣٨/٨ ، دار طيبة ، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م

(١٢٥) – ينظر: تفسير جامع البيان ٢٥٥/٢٤ ، تفسير مفاتيح الغيب ٦٨/٣١ .

(١٢٦) – ينظر: تفسير جامع البيان ٢٥٧/٢٤ .

والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد وهو ابتداء الظلام طرفي الليل في أوله وإدباره في آخره.[١٢٧] فقد بدأ ظلامه مختلطًا ببقية الضوء، أو بدأ رحيله فاخترق ظلامَه أوائل الضوء.

وبذلك يكون إيثار هذا الفعل لإفادته كلا حَالَين صالحين للقسم به فيهما لأنهما من مظاهر القدرة إذ يعقب الظلام الضياء ثم يعقب الضياء الظلام، وهذا إيجاز.[١٢٨]

فالمحتمل الضدين أفاد المعنيين الإقبال والإدبار وجمع حدوث الرقة في أوله وآخره، مدلول عسعس يرجع إلى رقة الظلام، فالليل يرق ظلامه عندما ينصرم منه النهار فيقبل، والنهار يرق ظلامه عندما ينصرم منه الليل فيدبر، فأفاد تحقق الرقة في الإقبال والإدبار بلفظ واحد مما يدل على المعاني الكثيرة باللفظ القليل، ويجمع بين المحتمل الضدين؛ فيعد من إعجاز القرآن ومبتكراته.

---

[١٢٧] – ينظر: معاني القرآن للزجاج ٢٩٢/٥ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٣٨/١٩ ، نظم الدرر ٢٨٦/٢١.

[١٢٨] – ينظر: التحرير والتنوير ١٥٤/٣٠ .

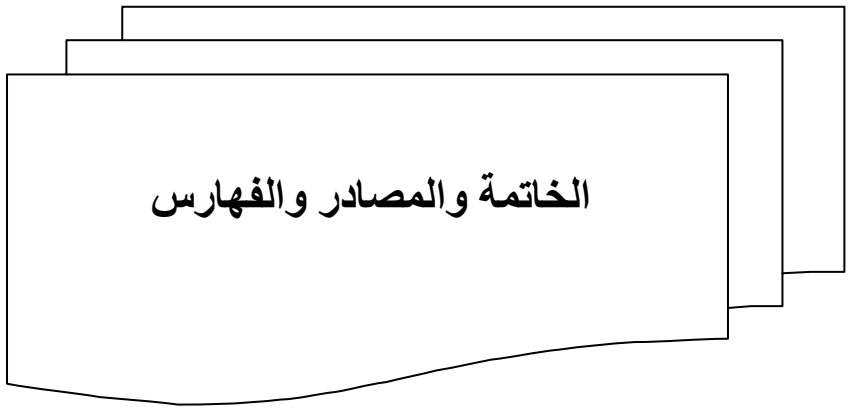

الخاتمة والمصادر والفهارس

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتنزل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد،

ففي نهاية هذا البحث – الذي أسأل الله أن يجعله خالصا لوجهه الكريم – وبعد هذه الرحلة الماتعة مع المحتمل الضدين في القرآن الكريم أسطر أهم النتائج التي توصلت إليها :

۞ المحتمل الضدين من مبتكرات القرآن يفهم بعض معانيه، ويبين دقائق أسراره ومبانيه.

۞ التعبير القرآني بمحتمل الضدين يراد به المعنيين، فالمعاني الواردة ليست مستبعدة ويحتملها التعبير.

۞ إثراء التفسير بالمعاني الكثيرة، واللطائف العديدة، والغرائب الغزيرة، وقد أبرزها المفسرون في تفاسيرهم.

۞ فَتَح باب التفكر والتأمل أمام المشتغلين بالدراسات القرآنية، للظفر ببعض بديع إشاراته وعجيب فيوضاته، واستنبات عباراته.

۞ التعبير بالألفاظ المحتملة ليس فقرا في ألفاظ اللغة ولكن للإيجاز والإعجاز .

۞ كل ما جاء فعيل بمعنى فاعل أو مفعول محتمل المعنيين .

وأخير أرجو أن أكون وفقت في إخراج هذه البحث على الوجه اللائق بها .

اللهم اجعل عملي صالحاً ولوجهك خالصاً ولا تجعل لأحد فيه شيئا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المراجع

الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، مجمع الملك فهد – السعودية، الطبعة الأولى .
أحكام القرآن للجصاص ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، طبعة: ١٤٠٥ هـ
الأضداد في اللغة محمد حسين آل ياسين ، مطبعة المعارف – بغداد، الطبعة الأولى ١٩٧٤ م.
الأضداد في كلام العرب لأبي الطيب الحلبي دمشق ، الطبعة : ١٩٦٣ م
الأضداد لابن الأنباري ، المكتبة العصرية- بيروت ،عام النشر: ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧ م
الأضداد لقطرب ، دار العلوم – الرياض ، الطبعة: الأولى ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٤ م .
إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين درويش ، دار ابن كثير – دمشق الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ .
البرهان في علوم القرآن للزركشي ، دار إحياء الكتب العربية –القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م
بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي ٢٩٩/٤ ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ، طبعة : ١٩٩٢ م .

البلغة إلى أصول اللغة لصديق خان القِنَّوجي ، مطبوعات جامعة تكريت .
تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، دار الكتب العلمية – بيروت .
تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب لأبي حيان ، المكتب الإسلامي ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م
تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى.
تفسير أضواء البيان للشنقيطي ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت ، طبعة : ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م .
تفسير الإمام الشعراوي ، مطابع أخبار اليوم – القاهرة ، طبعة: ١٩٩٧م.
تفسير البحر المحيط لأبي حيان، دار الفكر – بيروت ، الطبعة : ١٤٢٠هـ .
تفسير التحرير والتنوير لا بن عاشور ، الدار التونسية للنشر – تونس ، الطبعة : الأولى ١٩٨٤ م .
تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م .
تفسير الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ، دار القلم– دمشق .

تفسير القرآن الكريم لابن كثير ٣٣٨/٨ ، دار طيبة ، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م
تفسير القرآن للسمعاني ، دار الوطن، الرياض ، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م
تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ
تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ١٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م .
تفسير المحرر الوجيز لابن عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ .
تفسير النكت والعيون للماوردي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، تفسير المحرر الوجيز ٣٤٤/٣.
تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي أبي طالب ، مطبوعات كلية الشريعة – جامعة الشارقة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
التفسير الوسيط د/ محمد سيد طنطاوي ، دار نهضة مصر – القاهرة ، الطبعة: الأولى ١٩٩٨ م .
تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ .

تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ، ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى ٢٠٠٠ م .
تفسير روح المعاني للآلوسي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ
تفسير زاد المسير لابن الجوزي ٣٣٥/٢ ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ .
تفسير زهرة التفاسير للشيخ / محمد أبي زهرة ٤٥٦٨/٩ ، دار الفكر العربي – بيروت .
تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.
تفسير معالم التنزيل للبغوي ، دار طيبة ، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م
تفسير مفاتيح الغيب للرازي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.
جامع البيان في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ، جامعة الشارقة – الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م
جمهرة اللغة لابن دريد ،دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م

خصائص التعبير القرآني وسماته د/ عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة ، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
دستور العلماء - جامع العلوم في اصطلاحات الفنون للقاضي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
ديوان الأعشى: ، الطبعة الحجرية
الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي ، مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة -الإمارات ، الطبعة: الأولى ١٤٢٧ هـ
شرح المفصل لابن يعيش ٧/١ ، ار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
الصحاح تاج اللغة للجوهري ، دار العلم للملايين - بيروت ، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
صحيح الإمام مسلم ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .
غريب القرآن لابن قتيبة ، دار الكتب العلمية-بيروت ، طبعة : ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨ م .
فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب - حاشية الطيبي على الكشاف ٦٥/٥ ، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ، الطبعة: الأولى ١٤٣٤ هـ -

٢٠١٣ م .
الفوائد – المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان لابن القيم ، مطبعة السعادة بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٢٧ هـ
الكتاب لسيبويه ،مكتبة الخانجي، القاهرة ، الطبعة: الثالثة ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .
الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء الكفوي ، مؤسسة الرسالة – بيروت.
لسان العرب لابن منظور ، دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ .
مجاز القرآن لأبي عبيدة ، مكتبة الخانجى – القاهرة ، الطبعة: ١٣٨١ ه .
المزهر في علوم اللغة للسيوطي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .
مشكل إعراب القرآن لمكي أبي طالب ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ ،
معاني القرآن للزجاج، عالم الكتب – بيروت ، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨ م ، تفسير الكشاف ٢/٧٤٠ .
معاني القرآن للفراء ، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر ، الطبعة:

الأولى.
المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن د /محمد حسن جبـــل ، مكتبـــة الآداب – القاهرة ، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.
معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ، مؤسسة النشر الإسلامي – الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـــ
المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ، دار القلم – دمشق
مقاييس اللغة لابن فارس ، دار الفكر ، طبعة : ١٣٩٩هـــ – ١٩٧٩م.
مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن ، مكتبة الخانجي – القاهرة

الفهارس

مقدمة ٧٣٧
المبحث الأول ٧٤٣
تعريف المحتمل الضدين ومكانته وأثره على التفسير ٧٤٣
المطلب الأول : تعريف المحتمل الضدين ٧٤٤
أولا : تعريف الأضداد لغة ٧٤٤
ثانيا : الأضداد في الاصطلاح : ٧٤٥
ثالثا : المحتمل للضدين عند المفسرين : ٧٤٧
الفرق بين المحتمل للضدين والألفاظ القريبة: ٧٤٨
المطلب الثاني : مكانة المحتمل الضدين وأنواعه ٧٥٠
أولا : مكانة المحتمل الضدين ٧٥٠
ثانيا :أنواع المحتمل للضدين : ٧٥٢
المطلب الثالث: منهج المفسرين مع المحتمل الضدين وأثره على التفسير: ٧٥٣
أولا: منهج المفسرين مع المحتمل الضدين: ٧٥٣
ثانيا : أثر المحتمل للضدين ٧٥٥
المبحث الثاني ٧٥٧
الأضداد في الأسماء ٧٥٧
النموذج الأول : المحتمل الضدين ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ ٧٥٨
النموذج الثاني : المحتمل الضدين البين في قوله ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ ٧٦٩
النموذج الثالث : المحتمل الضدين الغابرين في قوله ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ٧٧٤
النموذج الرابع : المحتمل الضدين المقنع في قوله ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ .. ٧٧٨
النموذج الخامس : المحتمل الضدين وراء في قوله ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ﴾ ٧٨١
النموذج السادس : المحتمل الضدين الجنب في قوله﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ﴾ ٧٨٤
النموذج السابع : المحتمل الضدين الصريخ في قوله ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ ٧٨٥
النموذج الثامن : المحتمل الضدين الصريم في قوله ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ ٧٨٩

النموذج التاسع : المحتمل الضدين الشفق في قوله ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾..... ٧٩٢
المبحث الثالث ٧٩٥
الأضداد في الأفعال ٧٩٥
النموذج الأول : المحتمل الضدين يشري في قوله ﴿ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾..... ٧٩٦
النموذج الثاني : المحتمل الضدين أسروا في قوله ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾..... ٨٠١
النموذج الثالث : المحتمل الضدين عسعس في قوله ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ ٨٠٤
الخاتمة والمصادر والفهارس..... ٨٠٧
الخاتمة..... ٨٠٨
المراجع ٨١٠
الفهارس ٨١٧